حزب العمل المصري وإيران..
محاولة لفكّ الطلاسم

أهل السنة في إيران

بعد حملات التنصير..
الجزائر تواجه حرباً سرية مع «القاديانية»!



الراصد العدد ١١٩ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ



الشيعة... وتوزيع الأدوار في مصر

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراســـات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١١٩)
جمادى الأولى - ١٤٣٤ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

الشيعة وتوزيع الأدوار في مصر

لعبة توزيع الأدوار لا يتقنها إلا القلة من الناس، وللأسف غالباً ما يكونون من الخبثاء، لأن بعض الأدوار لا يصلح أن يمارسها أهل الحق بأي حال من الأحوال، أما من كان لا يقيم وزناً للحلال والحرام والحق والباطل فهذا لا يبالي في أي دور كان ولا في أي جانب كان.

والشيعة لمّا كان دينهم التقية والكذب والخداع كانت لعبة توزيع الأدوار من أسهل الأشياء عليهم، فإذا جمعنا لهذا الدين المخادع دروب السياسة الوضيعة فبالتأكيد سيكون الناتج مكرا تزول منه الجبال!!

نقصد بالشيعة هنا كل مستوياتهم وأصنافهم من المتشيعين المصريين عقائدياً كأحمد راسم النفيس وصالح الورداني ومحمد غنيم ومحمد الدريني والدمرداش العقالي، وأيضاً المتشعين سياسياً وفكرياً كفهمي هويدي ومجدي حسين ومحمد سليم العوا، وطبعاً يدخل في الشيعة إيران ساسة ومراجع، ومراجع الشيعة وأحزابها في العراق ولبنان وما شابه.

فلو دققنا النظر في واقع الشيعة وتحركاتهم وانتشارهم سنجدهم يمارسون أدواراً مختلفة ومتباينة ولكن لو جمعنا الأجزاء الصغيرة معاً لظهرت لنا صورة كبيرة (كلعبة الليجو) تظهر صورة مرعبة عن تغلغل الشيعة في غالب المفاصل والمحاور والمستويات دون شعور وانتباه كثير من الناس.

فبرغم صدمة الشيعة وإيران بخطاب الرئيس مرسي في طهران في قمة عدم الانحياز، إلا أن إيران تجاوزت الأزمة وتمكنت من استغلال الغباء العربي والخليجي المعادي لنظام مرسي والإخوان فزار نجاد القاهرة، وبرغم ما تعرض له من نقد قوي في الأزهر إلا أنه نجح في جرّ وزير السياحة المصري ليوقع في طهران اتفاقية سياحية مع إيران، ترسل بموجبها طهران آلاف الإيرانيين السياح – ظاهراً – ليقيموا أياماً في مناطق انتشار التشيع في مدن الأقصر وأسوان!!

وبعدها بأيام لبى رئيس الوزراء المصري هشام قنديل دعوة نوري المالكي لزيارة بغداد لبحث دعم مصر بالنفط برغم تباين الموقف المعلن للرئيس مرسي تجاه سوريا عن موقف المالكي المتورط في دم الشعب السوري، وذلك تحت ضغط أزمة الوقود بسبب التعنت الخليجي تجاه مصر، المتمثل في المطالبة بالدفع نقداً قبل تفريغ حمولة الناقلات!!

وهذا الموقف الذي يخرج في صورة الدعم لنظام الرئيس مرسي والإخوان هو عكس موقف الشيعة في مصر! حيث يصطف قادة

الشيعة كأحمد راسم النفيس القيادي بحزب التحرير المصري الشيعي – تحت التأسيس- ضد الإخوان من زمن مبارك، وهو اليوم يدافع عن جبهة الإنقاذ المعارضة وسياساتها، طبعاً كل هذا والنفيس يدافع عن زيارة نجاد للقاهرة ويستنكر على الأزهر موقفه مع نجاد، ولكنه لا يبالي أن يعاكس نجاد في دعم مرسي – ولو ظاهراً – بعكس الشيعي بهاء أنور والمحسوب على التيار الشيرازي الرافض لنهج إيران لكنه أشد غلوا في كفريات وخرافات التشيع!!

ولهذا نجد محمد غنيم قد استغل انتخابات رئاسة الجمهورية ليطرح نفسه مرشحاً للدعاية للتشيع ولكنه في النهاية لم يصوت لمرسي، بل تحالف الشيعة مع الأقباط والصوفية ضد الإخوان، وهكذا نجد الشيعة في الخارج يظهرون بمظهر الداعم لنظام الرئيس مرسي، وفي نفس الوقت يصطف الشيعة في الداخل ضد الرئيس مرسي وجماعته!!



ولكن هذا لا يمنع من تغلغل بعض الشيعة لمناصب حساسة ومؤثرة في غفلة الإخوان – إن أحسنّا الظن – مثل وزير الإعلام الإخواني الذي عين شيعيا مجاهرا بشيعيته مستشاراً له وهو ابن الدمرداش العقالي أحد أقدم القيادات الشيعية، ووالدته هي آمنة نصير التي لم تتشيع لكنها كارثة على الدين!

أما على صعيد التيارات الإسلامية فنجد مجدي حسين رئيس حزب العمل الجديد وأحد أركان إيران في مصر والذي كان على يسار نجاد في لقائه بالأحزاب المصرية يجلس على يمين الشيخ حازم أبو إسماعيل في تدشين تحالف الأمة لسبعة أحزاب سلفية !!!!!

ومن قبل كانت بعض القيادات السلفية في الإسكندرية ترغب باعتماد د. محمد سليم العوا مرشحاً لرئاسة الجمهورية، ومعلوم أن العوا من أشد أنصار التشيع فكرياً وسياسياً ولم يتردد في الاعتداء والنيل من الشيخ يوسف القرضاوي حين حذر من الخطر الشيعي على مصر والمنطقة!!

وهكذا نجد أن الشيعة يوزعون الأدوار فيما بينهم فبعضهم مع النظام والحكومة وبعضهم مع المعارضة وبعضهم مع السلفيين حتى، وفي نفس الوقت يسعون لتجذير كوادرهم في مناطق حساسة بالدولة ويحاولون قوننة مؤسساتهم ومنابرهم الثقافية والدينية والسياسية والإعلامية، وهم في هذا كله يخدمون مخططاتهم وأجندتهم لأنها واضحة عندهم بينما نعاني نحن أهل السنة من ضبابية الرؤية والهدف والخطوات والأدوات.

وهذا التوزيع للأدوار لا يقتصر على مصر بل هو في كل بلد يتواجدون فيه، ففي العراق يقدم مقتدى الصدر نفسه كعنوان للاعتدال ضد الدكتاتور المالكي، ومقتدى في الحقيقة مجرم بغيض، وفي اليمن نجد أحزابا مثل حزب الحق يقدم نفسه كلاعب سياسي مقابل الميلشيا العسكرية للحوثيين، وفي لبنان نجد أمل العلمانية مقابل حزب الله الأصولية، وهكذا دواليك في حفلة توزيع أدوار تصيب الناظر بالدوار، والله المستعان.

١١- الشيخ المجاهد عزالدين القسام (١٣٥٤/١٣٠٠هـ-١٨٨٣/١٩٣٥)

أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

تمهيد:

إن كان الشيخ المجاهد البطل عزالدين القسام لا يُعرف الكثير عن تفاصيل حياته وسيرته فذلك لأنه لم يدونها أو يترك خلفه شيئا يشير إليها، لكنه ترك خلفه أثراً ومنهجاً حياً في الأمة لا تزال تقتدى به الأجيال.

والعجيب أن سيرة القسام تناولها طرفان قصرا في حقها، فغالب من درس حركة القسام هم اليساريون من أمثال الكاتب الفلسطيني اليساري عبد القادر ياسين الذي قدم الشيخ القسام في كتاباته في قالب اشتراكي ومناضل ثوري ينطلق من جذر طبقي ومتمرد على البرجوازية العفنة ويسعى لبناء دولة اشتراكية! في تغييب كامل للإسلام والدين عن منهج القسام وحركته.

وقابلَهم طرف آخر متأخر فدافع عن إسلامية القسام وسلفيته لكنه كان ضيق الأفق، فحصر القسام وجهاده في قالب ضيق بسبب رؤيته الخاصة للسياسة والدين، فمثلاً الأستاذ محمد محمد حسن شراب رجح أن الشيخ كامل القصاب شبه عميل للإنجليز وأن القسام تعامل معه مضطراً!! وأن مشاركته مع القسام في كتاب النقد والبيان مشاركة رمزية!! وأن العلاقة بين القسام والحاج أمين الحسيني كانت متوترة بسبب تذبذب الحسيني في وطنيته!! وهذا غير صحيح، وسبب هذه الآراء العجيبة هو تحليله للأحداث السياسية بطريقة متعسفة تميل لرؤية حزب التحرير، وإلا فإن المعاصرين للقصاب والحاج أمين مثل الشيخ علي الطنطاوي والشيخ زهير الشاويش لهم رؤية مناقضة تماماً حول وطنية القصاب والحاج أمين وهي الرؤية المنطقية والتي تدل عليها نتائج حياة القصاب والحسيني.

والداعي لهذا التنبيه هو شح المصادر الأصلية عن سيرة القسام، وندرة المصادر الصافية فيها!!

نشأته:

هو عز الدين عبد القادر مصطفى يوسف محمد القسام، وقد اختلف في سنة ولادته ولكن الأرجح أنه ولد في عام ١٣٠٠هـ الموافق ١٨٨٣م، في مدينة جبلة في محافظة اللاذقية في سوريا.

(*) كاتب أردني.

والـده هـو عبـد القـادر بـن محمـود القـسام، أحـد شـيوخ الطريقـة القادريـة وكـذلك جـده، وكـان جـده قـد قـدم مـن العـراق إلى جبلـة، ولـذلك كـان بعـض مريـدي القادريـة بـالعراق يـزورون قـبر جـده ووالـده في جبلة.

ولـذلك نـشا القـسام في بيـت متـدين وذي صـبغة صـوفية، ولـذلك ذهـب للكُتـاب فقـرأ القـرآن وتعلـم القـراءة والكتابـة والحـساب علـى يـد والـده، ثـم درس في جبلـة علـى يـد الـشيخ سـليم طيـارة والـشيخ أحمـد الأورادي، ولمـا رأى أبـوه حرصــه علــى العلــم أرسـله للأزهـر ليـزداد علمـاً، وهـو في سـن الرابعـة عـشرة، وكـان ذلـك سـنة ١٨٩٦م. هـذا هـو كـل مـا لـدينا عـن القسام في صغره !!

في الأزهر:

اختلـف المؤرخـون للقـسام حـول المـدة الـتي قـضاها في مـصر، ولكنهـا فـترة لا تقـل عـن سـبع سـنوات ولا تزيـد عـن عـشر سـنوات، ولم يـذكر أحـد تفاصـيل حياتـه في مـصر أو العلمـاء الـذين التقـى بهـم أو أخـذ عـنهم، لكنـه ذهـب للأزهـر زمـن تـولي الـشيخ محمـد عبـده لمـشيخته، وقيامــه بــبعض الإصــلاحات فيــه، وكانــت مــصر آنــذاك تعـيش صــراعاً بــين التيــار الإسـلامي الـذي يمثلـه جمـال الـدين الأفغـاني ومحمـد عبـده ومحمـد رشـيد رضـا، والعلمـانيين أتبـاع المحـتلين من أمثال فرح أنطون ولطفي السيد.

كمــا أن الــصراع الــسياسي مــع الاحــتلال البريطـاني كـان علـى أشـدّه بعـد فـشل ثـورة أحمـد عرابـي سـنة ١٨٨٢م، وتـزعّم مـصطفى كامـل تيـار المقاومة للاحتلال.

والقـصة اليتيمـة الـتي رُويـت عـن حيـاة القـسام في أثنـاء دراسـته بـالأزهر، هــي حـين انقطـع المـصروف عنـه وعـن رفيقـه عـز الـدين التنـوخي مـن أهلـهما، فـاقترح القـسام أن يـصنعا هريـسة ويبيعاهـا للطـلاب، فخجـل التنـوخي وقـال: أنـا أخجـل أن أنـادي علـى بـضاعتنا، فقـال لـه القـسام: أنـا أصـيح علـى بـضاعتنا، وهكذا تمكنا من إكمال دراستهما.

وفي مــرة جــاء والــد التنــوخي لزيارتــه بالقــاهرة فوجــده واقفــاً بجــوار القــسام وهــو ينــادي علــى هريستهما، فسألهما: ما هذا؟

فخجـل التنـوخي وقـال لوالـده متنـصلاً: عـز الـدين علمــني، وهــو صــاحب الفكــرة، ولكــن التنــوخي صدم حين أجابه والده: لقد علمك الحياة.

وهــي قــصة تكــشف عــن شخــصية عــصامية مبكــرة للقــسام، قــادرة علــى مواجهــة الظــروف والتحـديات وابتكـار الحلـول والعـلاج للأزمـات، وهـو مــا ســيكون ســبب تميــز القــسام في تكــوين أول تنظيم عسكري جهادي في فلسطين.

عودته من الأزهر:

هنـاك تنـازع في الـسنة الـتي عـاد فيهـا القـسام لبلـده جبلــة بنــاء علــى الخــلاف في عــدد الــسنوات الــتي قــضاها بــالأزهر، فــالبعض يــرى أنــه عــاد في ســنة ١٩٠٣م والــبعض يقــول عــاد في ســنة ١٩٠٦م، وقــد ظهـر أثـر الأزهـر علـى الـشاب العائـد، ومـن هـذه الآثـار يمكــن أن نستــشف المحاضــن الــتي عايــشها القــسام في مصر.

فبدايــة رفــض القــسام أن يقــوم بزيــارة قــصر الأفنـدي المـتحكم في المنطقـة علـى طريقـة الإقطـاع، ويعلـن أن المـسافر والـضيف هـو المستحق للزيـارة ولـيس المقـيم، ويهـوّن علـى أبيـه بـالقول مـن أن الأفنـدي لـن يـستطيع أذيتـك بـسبب قـوتي بعلمـي وإيمـاني، وهـذا يـشير إلى وجـود وعـي جديـد في ذهـن الـشاب المـتعلم تجاه أصحاب النفوذ والجاه.

ومـن ثـم يـسافر القـسام لتركيـا فيـزور مـساجدها ليطلـع علـى طـرق التـدريس وخطـب الجمعـة فيهـا قبـل أن يعــود ويتفــرغ للتعلــيم والتــدريس في المــساجد والمـدارس وتجمعـات العمـال وكـل مكـان، ويمكـن أن نقسم جهود القسام للجوانب التالية:

١- التعليم والخطابة والإمامة:

فبـدأ يعلـم في زاويـة والـده ولم يقتـصر في تدريـسه

على الأطفال بل علّم حتى الكبار والعمال والفتيات شملهم بتعليمه وإرشاده، ولم يقتصر على القرآن الكريم بل علمهم القراءة والكتابة والعلوم الأولية.

وعمل مدرساً في جامع السلطان، وبدأ يخطب في مسجد المنصوري بطريقة مختلفة عن الخطب التقليدية، فأصبحت القرية لا تتخلف عن صلاة الجمعة وبدأت آثار دعوته تنتشر ويلمسها الجميع، وبدأ وعي جديد ينتشر بين الناس يحرص على العلم والفضيلة وأداء الفروض الشرعية.

واستمر القسام في التدريس طيلة حياته، فدرّس في مدينتي بانياس واللاذقية قبل أن يفتتح مدرسة في بلده جبلة سنة ١٩١٢م.

ولما هاجر لفلسطين سنة ١٩٢٠م عمل في التدريس أيضاً، فقد درّس في مدرسة الإناث الإسلامية وفي مدرسة البرج الإسلامية للطلاب، وهما مدرستان تتبعان الجمعية الإسلامية في حيفا، وكان يرعى طلابه علميا ويوجههم لبناء مستقبلهم بإرشادهم لما يوافق قدراتهم من مهن وأعمال.

وتولى القسام الإمامة والخطابة والتدريس بمسجد الاستقلال، والذي أصبح منارة لبث العلم والوعي في حيفا وما حولها، وكانت خطبه ودروسه تتناول كافة شؤون الدين والدنيا، وبث فيها ضرورة العلم والعمل والجهاد حتى يحافظ المسلم على إيمانه وحياته من مطامع المحتلين البريطانيين واليهود، ففي إحدى خطبه كان يخبئ سلاحاً تحت ثيابه فرفعه وقال: «مَن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فليقتني مثل هذا»، فأُخذ مباشرة إلى السجن وتظاهر الناس لإخراجه وأضربوا إضراباً عاماً.

وينقل يوسف الشايب الذي استمع لآخر خطبة جمعة للقسام عنه قوله: «أيها الناس لقد علمتكم أمور دينكم حتى صار كل واحد منكم عالما بها، وعلمتكم أمور وطنكم حتى وجب عليكم الجهاد، ألا هل بلّغت اللهم فاشهد، فإلى الجهاد أيها المسلمون».

وأسس في حيفا مدرسة لتعليم العمال الأميين القراءة والكتابة والدين وصنع منهم قادة للجهاد في فلسطين حملوا الراية بعده سنين طويلة.

ولزيادة مساحة تعليمه وتدريسه عمل القسام في وظيفة مأذون ليتجول بين الناس الذين قد لا يحضرون للمسجد لكنهم يحتاجون لشيخ عند الزواج، فكان يستغل الأعراس لبث الدعوة والتعليم والتواصل مع الناس.

وأيضاً حين تأسست في فلسطين فروع لجمعية الشباب المسلمين سنة ١٩٢٨م التي كانت قد تأسست أصلاً في مصر سنة ١٩٢٧م على يد نخبة من الشخصيات السلفية منهم العلامة محب الدين الخطيب والعلامة محمود تيمور باشا، كان القسام رئيساً لفرع حيفا، وفي سنة ١٩٣٢م انتخب القسام رئيساً مؤقتا للمؤتمر العام لفروع الجمعية بفلسطين بوصفه أكبر الأعضاء سناً، وقد استفاد القسام من أنشطة الجمعية وانتشارها لنشر العلم والدعوة للجهاد في ربوع فلسطين وتهيئة الشباب بدنياً للجهاد من خلال فرق الكشافة التابعة للجمعية.

وهذه السيرة الطويلة من التعليم وبث الوعي والاهتمام بكافة شرائح المجتمع والانضمام للجمعيات تؤكد أن القسام كان على صلة وثيقة بالشيخ محمد رشيد رضا، سواء صلة مباشرة أو متابعة مجلته المنار والتي أصلت وأسست للأفكار والمنهج الذي التزمه القسام طيلة حياته.

٢- سلفية القسام:

تميز القسام بعد عودته من مصر بالتزام الكتاب والسنة ومنهج الصحابة، مما يدلل على تأثره بالبيئة الإصلاحية السلفية في مصر، وذلك بعد أن كان صوفياً على الطريقة القادرية كوالده وجده، ومن أول مظاهر ذلك أنه منع زيارة قبر جده ووالده من قبل أفراد الطريقة القادرية بالعراق، وذلك لأن السفر لزيارة القبور من الأمور التي نهى

عنها الشرع.

وحارب كثيرا من البدع والخرافات التي تنتشر بين الناس في ذلك الزمان مثل:

- حج النساء إلى مزار الخضر على سفوح جبل الكرمل وتقديم القرابين له.

- ما يصنعه بعض الجهلة من بدع على المآذن في الأذان وفي المساجد عقب الصلوات وغيرها.

- أنكر قراءة المولد النبوي بالغناء والتمطيط، والمبالغة بتوقيعه على ألحان الموسيقى، ورفض ما أدخل في سيرة مولده ﷺ من الأمور التي لم تثبت، ودعا إلى العناية بأحوال وشمائل النبي ﷺ، والتزام سننه العملية وسيرته كقدوة للمسلمين.

- أنكر على فرقتي البهائية والقاديانية اللتين تتواجدان في حيفا وعكا، وأنكر على من شارك في جنازة عباس البهائي.

- رفع الأصوات بالتهليل والتكبير أثناء تشييع الجنائز. وهي القضية التي كبرت حتى أصدر هو والشيخ كامل القصاب كتابه الوحيد «النقد والبيان في دفع أوهام خزيران، والدفاع عن سنة خير الأنام فيما يتعلق بالسنة، والبدعة، والمولد، وآداب قراءة القرآن، والصياح والنياح في الجنائز، والمآتم والمقابر».

وهذه بعض العبارات الواردة في الكتاب مما يدلّ على سلفيتهما:

❖ قالا عن كتاب الاعتصام للشاطبي: «وكنا نود أن نرشد الأستاذ الجزار وتلميذه إلى الاستفادة من هذا الكتاب الذي لا ندّ له في بابه، ولكنا خشينا أن يرميا مؤلفه بالنزعة (الوهابية) - التي هي حجة العاجز لترويج الباطل، وإضاعة الدين- التي رميانا بها، وإن تقدم زمن ذلك الإمام الشاطبي العظيم على زمن محمد بن عبدالوهاب ما يقرب من (٥٠٠ سنة)!! لأنه لا يبعد أن يعللا ذلك بأنه من باب أخذ المتقدم عن المتأخر!».

❖ وقالا: «يعلم أن ذلك الدعي في العلم يعد العمل بسنة الرسول ﷺ زيغاً، والعياذ بالله تعالى».

❖ وقالا عن اتباعهما للسنة النبوية: «وأكبر دليل على تمسكنا بسنة نبينا، وسنة الشيخين من بعده، نهينا الناس عن مخالفة سنة الخلفاء الراشدين في تشييع الجنازة برفع الصوت».

ومن الدلائل على سلفية القسام تعاونه مع الشيخ كامل القصاب في الثورة السورية والثورة الفلسطينية، والشيخ كامل القصاب من رؤوس السلفيين في الشام وأحد الشخصيات التي اعتمد عليها الملك عبدالعزيز بن سعود في تأسيس إدارة المعارف بمكة.

ومن الدلائل أيضاً ثناء وتأييد كبار السلفيين في عصره عليه وعلى الشيخ القصاب بسبب كتابهما «النقد والبيان»، وهذا يؤشر لوجود علاقات ومعرفة بينه وبينهم سواء كانت علاقة مباشرة أو من خلال علاقته بالقصاب، فمن هؤلاء في الشام: الشيخ محمد بهجة البيطار، الشيخ عبد القادر بدران، محمد جميل الشطي.

ومنهم العلامة محمد بهجت الأثري بالعراق، والعلامة محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية.

ومن الإشارات المهمة على ترسيخ القسام للسلفية في نفوس طلابه وتلاميذه ما نقله الأستاذ زهير الشاويش عن ملازمة أحد أبرز تلاميذ القسام والقادة القساميين وهو أبو إبراهيم الصغير عند إقامته بدمشق لدروس العلامة الألباني.

ومن الإشارات اللطيفة في هذا الباب أن العلامة الألباني كان يحضر دروس العلامة محمد بهجت البيطار لكتاب الحماسة لأبي تمام مع عدد من أساتذة المجمع العلمي منهم الأستاذ عز الدين التنوخي شريك القسام في بيع الهريسة بالقاهرة!!

٣- مشاركات القسام الجهادية في ليبيا وسوريا

كثير من الناس يظن أن جهاد القسام اقتصر على فلسطين ضد الإنجليز واليهود وهذا غير صحيح، فأول مشاركة جهادية للقسام كانت عام ١٩١١م حين حرّض الناس على التطوع للجهاد في طرابلس الغرب بليبيا ضد الإيطاليين، فقاد مظاهرة في بلدته جبلة وهي تهتف: يا رحيم ويا رحمن ... انصر مولانا السلطان ... واكسر أعدائنا الطليان.

ومن ثم انتقى ٢٥٠ متطوعا للجهاد وجمع لهم التبرعات ونسق مع السلطات العثمانية التي رحبت بتطوعهم، وطلبت منهم المجيء للأسكندرونة لتسفيرهم إلى طرابلس بليبيا، لكنهم مكثوا في الأسكندرونة ٤٠ يوماً دون جدوى وبعدها طلب منهم العودة، وقيل إن التبرعات أرسلها القسام مع ثقات لأهل طرابلس، وقيل إن القسام سافر سراً لطرابلس والتقى بشيخ المجاهدين عمر المختار وسلمه إياها، وقيل بنى بها مدرسة في جبلة.

وحين احتلت فرنسا سوريا على إثر اتفاقيات سايس بيكو، كان القسام أول الرافضين لها والمجاهدين ضدها في شمال سوريا، وهو من أشعل الثورة في جبال صهيون ضد الفرنسيين، وتعاون في ذلك مع عمر البيطار، ولذلك باع بيته واشترى بثمنه سلاحاً يجاهد به، وهذا كله بعد أن عبأ الناس في المسجد والمدرسة واللقاءات للجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، ومن استجاب له قام القسام بتدريبه على استعمال السلاح بسبب خبرته العسكرية التي اكتسبها من فترة انضمامه للجيش العثماني زمن الحرب العالمية الأولى.

وبسبب دوره المركزي في الجهاد أرسل له الفرنسيون أحد أقاربه ليساومه على ترك الجهاد مقابل تعيينه قاضياً شرعياً، ولما رفض ذلك أوعزوا للديوان العرفي في دويلة العلويين التي أسسوها أن يصدروا عليه حكما بالإعدام، وهذه فضيحة من فضائح العلويين عبر التاريخ بوقوفهم إلى جانب المحتلّين ضد أبناء بلدهم وليس دينهم!!

وبسبب عجز الثورة عن مقاومة فرنسا في الشمال والحكم بالإعدام على القسام قرر ومعه عدد من رفاقه مغادرة سوريا لفلسطين، فذهب لدمشق ونزل عند صديقه القديم عز الدين التنوخي، وشارك في معركة ميسلون بدمشق، وبعدها سافر سراً إلى عكا ثم استقر في حيفا.

٤ – جهاده في فلسطين

وصل القسام عام ١٩٢١م إلى فلسطين مع بعض رفاقه ولم يكن الجهاد ضد اليهود والإنجليز غائبا عن تخطيطه، فهو تلميذ لرشيد رضا الذي كان أول من حذر من خطر الهجرات والصهيونية ومخططاتها، ولذلك سعى أن يكون قريباً من العمال والفقراء لأنهم دوماً المحضن المؤيد للجهاد لأنهم أنقى في الفطرة ولم يتلطخوا بالعمالة للمحتلين.

ولذلك حرص على مخالطتهم وتعليمهم وتوجيههم وزرع عقيدة الجهاد بينهم، فاستخلص من المجاهدين الشرفاء والذين قادوا الجهاد في فلسطين سنوات طويلة حتى بعد استشهاده رحمه الله.

كانت رؤية القسام للخطر الصهيوني على فلسطين تنبع من ثقافة عميقة تدرك أبعاد المشروع الصهيوني مبكراً بفضل كتابات رشيد رضا، كما أنها تدرك عبثية الوسائل السلمية في مقاومتها وذلك بعد تجربته في جهاد ومقاومة الفرنسيين، وكان القسام حازماً وواضحاً أن الجهاد هو الحل لمقاومة الصهيونية، وأن على أهل فلسطين البدء بالجهاد وعدم الانتظار حتى يتمكن اليهود من توطين أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود في فلسطين.

ولذلك يتفق المؤرخون على أن طلاب القسام وتلاميذه هم الذين بدؤوا الجهاد في فلسطين، فثورة البراق سنة ١٩٢٩م كانت رداً على اعتداء اليهود

على حائط البراق، وبسبب هذه الثورة وقع عدد من الشهداء والمصابين وقدم عدد آخر للمحاكمة التي حكمت عليهم بالإعدام وهم الأبطال الثلاثة المشهورون: فؤاد حجازى وعطا الزير ومحمد جمجوم.

وفي يوم إعدامهم خطب القسام خطبة نارية وهو متجهم الوجه دامع العينين فقال: «يا أهل حيفا يا مسلمون ألا تعرفون فؤاد حجازي؟ ألم يكن فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم إخوانكم؟ ألم يجلسوا معكم في دروس جامع الاستقلال ؟ إنهم الآن على أعواد المشانق».

وشارك في ثورة البراق من تلاميذ القسام وأعوانه: عبدالله الأصبح في منطقة صفد، والشيخ فرحان السعدي في قضاء جنين.

وكان لطلاب القسام عدة عمليات جهادية في المدة من ١٩٣١ – ١٩٣٥م، منها الهجوم على مستعمرة الياجور قرب يافا، وعمليات الهجوم على مستعمرات بلغوريا وكفار هاسيديم وعتليت والعفولة، والهجوم على مستعمرة نهلال.

وقد كان نشاط القسام التحريضي على الجهاد موضع مراقبة من الإنجليز، ولذلك حين تصاعدت الهجمات في شمال فلسطين اتهم القسام بأنه المدبر لها، واستدعي للتحقيق لكن لم يثبت عليه شيء، وذلك بسبب دقته الفائقة في السرية والكتمان، ولكن مع هذا قرر القسام إيقاف الهجمات لفترة.

تنظيم القسام الجهادي

لم يكن جهاد القسام عفويا، بل كان عن تخطيط دقيق وعمل مرتب استغرق وقتاً طويلاً، فهو كان ينتقي عناصره من رواد دروسه وخطبه، ولا يقبل إلا من يجد فيه الإخلاص والجدية والاستعداد للتضحية والالتزام بالسرية، فعندها يدخله في حلقة سرية مكونة من ٥ أفراد يهيئهم علمياً ومعنوياً وعسكرياً للجهاد.

وقد تمكن القسام من تكوين حوالي ١٢ حلقة لا تعرف إحداها الأخرى، ثم ارتفع عدد أعضاء المجموعة لـ ٩ أفراد.

ولم يكن يستثني القسام أي شريحة من تنظيمه بل حرص حتى على الرجال المتورطين في السرقة والمشاكل، إذ كان يرى فيهم جرأة وشجاعة لو وجهت للجهاد لكان لها تميز، وفعلاً كان هناك عدد من رفقاء القسام من هؤلاء مثل: حسن الباير الذي روى قصته فقال: «أنا من قرية برقين قضاء جنين، وكنت من قبل أسرق وأرتكب المحرمات، فجاءني المرحوم عز الدين القسام، وأخذ يهديني ويعلمني الصلاة، وينهاني عن مخالفة الشرع الشريف وأوامر الله، وقبل مدة أخذني المرحوم الشيخ عز الدين القسام إلى أحد جبال برقين، وهناك أعطاني بندقية، فسألته: لم هذه؟ فأجاب: لأجل أن تتمرن عليها، وتجاهد مع إخوانك في سبيل الله».

وتكونت قيادة للتنظيم من أبرز هذه المجموعات وكان الجميع يدفع اشتراكا شهريا بسيطا للتنظيم، وكان للتنظيم مجموعات في ١٣ مدينة ومنطقة في فلسطين، وكان له عدة لجان منها: لجنة لشراء السلاح، ولجنة للتجسس على العدو، ولجنة للتدريب العسكري، ولجنة للاتصالات السياسية، ولجنة التمويل.

وعُرف أتباع القسام بعد استشهاده باسم القساميين لأنه لم يضع اسما للتنظيم، واختلف في عدد أعضاء التنظيم عند استشهاده فبعضهم يحصره في أعضاء المجموعات فقط وبعضهم يتجاوزه ليصل لرقم ١٠٠٠ قسامي!!

كان القسام يرفض دعوات بعض أنصاره للقيام بثورة شاملة وكان يصر على تأجيل ذلك لحين استكمال الاستعداد وتوفر مخزون جيد من الأسلحة وزيادة العدد لحد الكفاية، لأنه يعد لثورة جهادية شاملة وليس لعملية محدودة فهو يدرك فداحة المخطط الصهيوني الذي لا يجدي معه عمل

جهادي محدود.

لكن مع تزايدد أعداد التنظيم وتصاعد وتيرة الهجرة اليهودية ووقوع ثورة البراق وتكاثر الشكوك حول نشاط القسام من قبل الإنجليز، واكتشاف تهريب اليهود للسلاح عبر الميناء كل هذا جعل القسام يسرع من خطته وينطلق للعلنية فخطب خطبته الأخيرة وخرج مباشرة من حيفا، حتى أن الشرطة بحثت عنه بعد الخطبة فلم تجده!!

وكانت نية القسام عدم البدء بالقتال مع الإنجليز واليهود، بل التجول بين الناس وحثهم على الجهاد واقتناء السلاح وتهيئتهم، لكن قدر الله غير ذلك، إذ بينما كان القسام يبث الدعوة الجهادية في نواحي جنين قام بعض الحرس بإطلاق النار على دورية شرطة لظنه أنها تبحث عنهم، فانتبه الإنجليز لوجود جماعة مسلحة جهادية وقد ربطتها بغياب القسام، وفورا أمر القسام بالرحيل فتوجهوا جهة أحراش قرية يعبد، ولكن الإنجليز أعلنوا عن مكافأة لمن يدل على (عصابة إجرامية قتلت شرطياً) — نفس الدعاية التي يقوم بها بشار الأسد اليوم بعد ٧٥ سنة ضد الثوة السورية!! — وفعلا قام بعض الناس بإبلاغ الشرطة عن تحركات القسام ومجموعته وهم لا يعرفونهم، حتى حوصر القسام ومعه ٨ من رفاقه، ومع هذا أمر القسام أن لا يطلقوا النار على الشرطة العرب الذين جعلهم الإنجليز في المقدمة، وإنما يطلقون على الإنجليز فقط!! ورفض القسام الاستسلام فاستُشهد بإذن الله هو وثلاثة من رفاقه وجرح وأسر الباقي منهم وذلك يوم ١٩٣٥/١١/٢٠م.

أثر جهاد القسام على القضية الفلسطينية

قلنا أن القسام لم يكن يسعى للصدام في ذلك الوقت مع الإنجليز فقد نقل عنه قوله: « ليس المهم أن نحرر فلسطين في بضعة أشهر، بل المهم أن نعطي من أنفسنا الدرس للأمة، وللأجيال القادمة»، وفعلاً حقق الله ما كان يقصده القسام باستشهاده وإحياء الجهاد في القضية الفلسطينية.

ومن أول مظاهر اليقظة الجهادية التي أحدثها القسام ما جرى في جنازته، إذ قرر الإنجليز الساعة العاشرة صباحاً لموعد خروج الجنازة من بيت القسام الواقع خارج بلدة جبلة للمقبرة دون الصلاة عليها في المسجد في وسط حيفا، لكن المشيعين رفضوا ذلك ويصف لنا الأستاذ أكرم زعيتر مسيرة الجنازة وهو من السياسيين القلائل الذين شاركوا في جنازة القسام ورفيقيه، إذ خرج الآلاف يشيعونها من كافة أنحاء فلسطين وقد تحولت لمظاهرة ضد المحتلين حيث ساروا بالجنازة لوسط حيفا وصلّوا عليها في جامع الجرينة، وهم يكبرون ويهتفون بالانتقام له، وهاجم المشيعون دائرة البوليس واصطدموا بالقوات الإضافية التي جاءت لمنع مسيرة الجنازة وأجبروها على الانسحاب، ورفض المشيعون نقل الجنازة بالسيارة وحملوها على أكتافهم للمقبرة التي تبعد خمسة كيلومترات عن البلدة.

وكتب أكرم زعيتر عن أثر استشهاد القسام فقال: «ليس من سبيل إلى الخلاص إلا الجهاد الدامي، وقد فتح القسام الباب فلنلجنه، وإنا لفاعلون إنها دعوة جديدة أخذت تظهر على ألسنة الناس، ويجهر بها الكتاب، ولم نكن نعرفها من قبل نفخت في الأمة روحاً لم تكن تفطن لها.. »، وقال أيضاً: «لقد سمعتك قبل اليوم خطيباً تتكئ على السيف، وتهدر من على المنبر، وسمعتك اليوم خطيباً تتكئ على الأعناق، ولا منبر تقف عليه، ولكنك والله اليوم أخطب منك حياً».

وقال عجاج نويهض: «سافر القسام وكان جواز سفره الأكبر مصحفاً في جيبه وقلبه»، وقال حمدي الحسيني: «إن القسام عدل من هذه القضية ما إعوج»، وقال الشيخ سليمان التاجي: «القسام نقل القضية من دور الكلام إلى دور العمل».

ورثاه الشاعر فؤاد الخطيب بقوله:

أولت عمامتك العمائم كلها

شرفا تقصر عنده التيجان

إن الزعامة والطريق مخوفة

غير الزعامة والطريق أمان

لقد اختط القسام في حياته وموته منهجاً جهادياً أعطى القضية الفلسطينية بعداً جديداً لا تزال ثماره الزكية تؤتى أكلها لليوم والحمد لله.

القساميون على نهج شيخهم

ذكرنا أن القسام لم يكن معه إلا ٨ من رفاقه يوم استشهاده لأن خطته كانت بث رفاقه بين الناس لتهيئتهم للجهاد، وفعلاً كان رفاق القسام على قدر المسئولية والأمانة.

وصفهم أحمد الشقيري وهو أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية فقال: «لم تجر على ألسنتهم تعابير الكفاح المسلح والحركة الوطنية والاستعمار والصهيونية، فقد كانت تعابيرهم على بساطته تنبع من ينبوع أروع وأرفع، هو «الإيمان والجهاد في سبيل اللّه»، لقد كانوا قوماً مؤمنين، صنعهم الإيمان، فصفت نفوسهم، وتآلفت إراداتهم، وتعاظمت عزائمهم، وأحسوا أن حبلهم مع اللّه قد أصبح موصولاً، وأن الباب بينهم وبينه قد بات مفتوحاً».

وكان زعيم القساميين الذي حمل الراية بعد القسام هو الشيخ المجاهد فرحان السعدي والذي فجر الثورة الشهيرة (ثورة ١٩٣٦م) بعد ٥ شهور من استشهاد القسام، والتي استمرت حتى ١٩٣٩، وما لبث أن أُعدم سنة ١٩٣٧ وهو في الثمانين من عمره بسبب جهاده ضد الإنجليز واليهود.

وبعد إعدامه واصل القساميون المسيرة وكانوا القادة في المسيرة الجهادية في كل فلسطين وخاصة مناطق الشمال، فقاموا باغتيال حاكم منطقة الخليل لويس أندروز سنة ١٩٣٧، ويعتبر أبو إبراهيم الكبير من أبرز القادة القساميين.

ولأن القساميين لم يكن لهم اسم أو حزب خاص فقد كان المؤرخون للقضية الفلسطينية يشيرون لهم باسم الشيوخ، مثل المؤرخ الفلسطيني المعروف محمد عزة دروزة في قوله: «وكل ما أمكن هو توحيد القيادة العليا في عدة مناطق تحت إدارة عصبة من طبقة المشايخ التي كان يتزعمها أبو إبراهيم الكبير خليل العيسى»، وذكر منهم:

الشيخ أبو إبراهيم الصغير، توفيق الإبراهيم تلميذ العلامة الألبانى لاحقاً، وأبو علي سليمان العبد القادر، والشيخ عطية أحمد، والشيخ يوسف أبو درة، الشيخ عبدالفتاح العبد.

الخاتمة

لقد كانت حياة القسام نموذجاً للعالم المربي والداعية المصلح والمجاهد الصابر، ويكاد أن يكون قدّم تجربة متكاملة للعلاقة بين العلم والعمل، وأعاد للناس تجسيد المفهوم النبوي لدور العالم وهو وراثة النبوة وتجسيدها في واقع الناس بالتعليم والقدوة وقرن العلم بالعمل والجهاد، فرحمة اللّه على الشيخ عز الدين القسام ورفاقه بالأمس واليوم والمستقبل.

مراجع للتوسع:

❖ عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين، محمد محمد حسن شراب، دار القلم، دمشق.

❖ الوعي والثورة دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام، سميح عودة، دار الشروق، الأردن.

❖ التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد ١٩١٧- ١٩٤٨، محسن صالح، دار الفلاح، الكويت.

❖ النقد والبيان، كامل القصاب وعز الدين القسام، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت.

❖ القسام المجاهد والحركة، تحرير عبدالقادر ياسين، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

اليهود يساندون شيعةَ الكرخ ضد السنة

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

ظل حيّ الكرخ في بغداد مسرحا للصدامات بين السنة والشيعة طيلة العهد البويهي تقريبا[1].

فالكرخ هو من أحياء بغداد التي كان فيها وجود شيعي ملحوظ، وبقدوم البويهيين الشيعة إلى بغداد، وتسلّمهم زمام الأمور في سنة ٣٣٤هـ، أصبح التشيع ينتشر ويقوى، فقد دعم البويهيون الشيعةُ بني جلدتهم في الكرخ وغيره في إقامة طقوسهم، والإساءة إلى أهل السنة وعقيدتهم، وإلى أصحاب النبي ﷺ.

فما هي إلاّ سنوات قليلة من سيطرة بني بُويه على بغداد والدولة العباسية حتى صار لعنُ الصحابة يُكتب على أبواب المساجد، يقول ابن كثير في أحداث سنة ٣٥١هـ: «في هذه السنة كتبت العامة من الروافض على أبواب المساجد ببغداد: لعَن اللّه معاويةَ بن أبي سفيان، ولعن مَن غصب فاطمة فدك (يعنون أبا بكر، رضي اللّه عنه) ومن أخرج العباس من الشورى (يعنون عمر، رضي اللّه عنه) ومن نفى أبا ذر (يعنون عثمان، رضي اللّه عنه) ومن منع دفن الحسن عند جده (يعنون مروان بن الحكم).

ولما بلغ ذلك معز الدولة لم ينكره ولم يغيره، ثم بلغه أن أهل السنة محوا ذلك، فأمر بأن يُكتب: لعن اللّه الظالمين لآل محمدٍ من الأولين والآخرين، والتصريح باسم معاوية في اللعن، فكُتب ذلك. قبح اللّه معز الدولة وشيعته من الروافض»[2].

وفي العام التالي، أصبحت طقوس عاشوراء من اللطم والنياحة والإساءة إلى الصحابة، وكذلك الاحتفال بأعياد الشيعة تُفعل علانية في الأسواق، يقول ابن كثير في أحداث سنة ٣٥٢هـ: «في عاشر المحرم من هذه السنة أمر معز الدولة بن بويه، قبحه اللّه، أن تغلق الأسواق وأن يلبس الناس المسوح من الشعر، وأن تخرج النساء حاسرات عن وجوههن، ناشرات شعورهن في الأسواق يلطمن وجوههن، ينحن على الحسين بن علي، ففُعل ذلك، ولم يمكن أهل السنة منع ذلك لكثرة الشيعة، وكون السلطان معهم.

(*) كاتب أردني.

(١) البويهيون قوم من الشيعة الفرس الذين استطاعوا السيطرة على دولة الخلافة العباسية، ودخول عاصمتها بغداد، في سنة ٣٣٤هـ، ومنذ ذلك الحين، أصبح الخلفاء العباسيون عاجزين، مجرّدين من الصلاحيات، في حين صار السلطان البويهي هو الحاكم الفعلي للدولة العباسية، واستمر هذا الوضع حتى سقوط الدولة البويهية على أيدي السلاجقة السنة في سنة ٤٤٧هـ.

(٢) البداية والنهاية ص ٢٣٣٧.

وفي ثامن عشر ذي الحجة منها أمر معز الدولة بن بويه بإظهار الزينة ببغداد، وأن تُفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد، وأن تضرب الدبادب والبوقات، وأن تشعل النيران بأبواب الأمراء وعند الشرط، فرحاً بعيد الغدير - غدير خم- فكان وقتاً عجيباً ويوماً مشهوداً، وبدعة ظاهرة منكرة»[1].

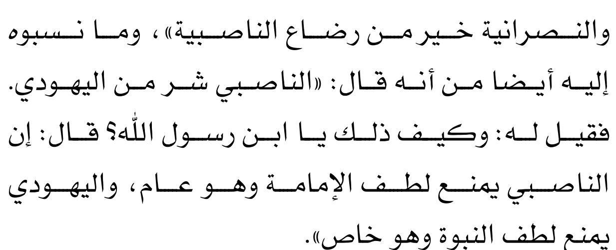
وقف السنة بحزم إزاء تلك المنكرات الإساءات،

وكثيرا ما كانت الأمور تصل إلى الصدام، وتقع فتن بين السنة والشيعة، ويسقط الكثير من القتلى من الطرفين كما سطرت ذلك كتب التاريخ، لكن اللافت للانتباه في هذه الأحداث هو بروز اليهود إلى واجهة الأحداث، ودخولهم كطرف في الخلاف إلى جانب الشيعة ضد أهل السنة، وهو ما جعل السنة في بعض السنوات يوجّهون غضبهم إلى اليهود وممتلكاتهم بسبب مساندتهم للشيعة.

يقول ابن كثير في أحداث سنة ٤٢٢هـ:

«وفيها وقعت فتنة عظيمة بين السنة والروافض، وقويت عليهم السنة، وقتلوا خلقاً منهم، ونهبوا الكرخ ودار الشريف المرتضى، **ونُهبت العامةُ دورَ اليهود لأنهم نُسبوا إلى معاونة أهل الكرخ من الروافض**، وتعدى النهب إلى دور كثيرة، وانتشرت الفتنة جداً، ثم سكنت بعد ذلك»[2].

يمكن للوهلة الأولى الشعور بالاستغراب من الانسجام اليهودي الشيعي، ووقوف اليهود في صفّ طائفة مسلمة أو تنتسب للإسلام ضد أهل السنة في خلاف لا يعني اليهود شيئا، لكن الاستغراب قد يزول عندما نعلم أن مؤسس التشيع يهودي من يهود صنعاء، هو عبدالله بن سبأ، الذي وضع العقائد الأولى للتشيع كالنص والوصيّة، وقال بألوهية علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ورجعته[3].



وعندما نعلم أيضا بأن العقيدة الشيعية ترى المسلمَ السنّي (الملقّب عند الشيعة بالناصبي والمخالف) شرٌّ من اليهود والنصارى، يؤيد ذلك ما نسبوه إلى جعفر بن محمد الصادق، الذي يعتبره الشيعة سادس أئمتهم المعصومين، أنه قال: «رضاع اليهودية والنصرانية خير من رضاع الناصبية»، وما نسبوه إليه أيضا من أنه قال: «الناصبي شر من اليهودي. فقيل له: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: إن الناصبي يمنع لطف الإمامة وهو عام، واليهودي يمنع لطف النبوة وهو خاص».

يقول نعمة الله الجزائري، في كتابه (الأنوار النعمانية) عن أهل السنة: «إنهم كفار أنجاس بإجماع علماء الشيعة الإمامية، وإنهم شر من اليهود والنصارى، وإن من علامات الناصبي تقديم غير علي في الإمامة».

وبناء على ذلك رأينا الدول الشيعية على اختلاف مذاهبها، واختلاف أزمانها، تُعلي من شأن اليهود والنصارى، وتستعين بهم ضد أهل

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٣٩.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٤٦.

(٣) يمكن قراءة المزيد عن ابن سبأ وعقيدته: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص ٢١، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٥٥، ومنهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومختصره للشيخ عبدالله الغنيمان، ص ١٤ – ١٨. وقد أورد شيخ الإسلام فيه الكثير من جوانب الشبه بين الشيعة الرافضة وبين اليهود.

السنة، وتدخل معهم في تحالفات، وتحصل على خدماتهم، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى:

فقد تبوّأ اليهودي يعقوب بن كلس، وغيره من اليهود والنصارى، منصب الوزارة في الدولة العبيدية الفاطمية، صاحبة المذهب الشيعي الإسماعيلي، وبلغ من إكرام العبيديين لليهود حداً جعل أحد الشعراء المصريين في ذلك الوقت يقول:

يهود هذا الزمان قد بلغوا
غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهمو
ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر إني نصحت لكم
تهوّدوا، فقد تهوّد الفلك[1]

أما القرامطة الذين أثاروا الرعب في العالم الإسلامي بجرائمهم في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهم من الشيعة الإسماعيلية أيضاً، فقد ثبت أنهم كانوا يحصلون على مساندة من اليهود، ومن كبير تجار اليهود في بغداد، عزرا بن صمويل، في زمن الخليفة العباسي (المعتضد)[2].



ولم تكن الدول الشيعية الإثنا عشرية بعيدة عن أخواتها الإسماعيلية، فقد أقامت الدولة الصفوية التي قامت في إيران في بدايات القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) الكثير من التحالفات وعقدت المعاهدات مع الممالك والدول الأوروبية والنصرانية، ومنحتها الكثير من الامتيازات في مواجهة الدولة العثمانية السنية التي كانت تنطلق فتوحاتها في أوروبا، فعملت على إعاقتها ووقفها، لذلك اعتبر المؤرخون والباحثون أن الدولة الصفوية هي أول من أدخل الاستعمار إلى منطقة الخليج العربي[3].

وفي العصر الحديث، ارتبطت الدولة الشيعية الخمينية التي قامت في إيران سنة ١٩٧٩م، بفضيحة (إيران غيت) حيث حصلت إيران على أسلحة من إسرائيل في سنة ١٩٨٥م، لاستعمالها ضد العراق، في حربها التي استمرت ثمانية أعوام (١٩٨٠ – ١٩٨٨م).

للاستزادة:

١- الإمام ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم (بيروت)، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢- الراصد نت.

(١) يمكن قراءة المزيد على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٥١٣١

(٢) يمكن قراءة المزيد على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٤٦٩٣

(٣) يمكن قراءة المزيد على الروابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٥٢٨٧
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٤٧٨٧

حزب العمل المصري وإيران... محاولة لفكّ الطلاسم

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

هل كان جلوس رئيس حزب العمل المصري الجديد مجدي أحمد حسين على يسار الرئيس الإيراني أحمدي نجاد خلال لقائه بقادة الأحزاب السياسية المصرية في القاهرة ضمن فعاليات زيارته التى جرت مؤخرا لمصر من قبيل المصادفة التي لا تحمل أية دلالة أو معنى سياسي خاص؟ أم أن ترتيب الجلوس قربا أو بعدا من نجاد كان رسالة محددة تعكس طبيعة العلاقة بين الدولة الإيرانية وقادتها وبين بعض القوى والشخصيات السياسية المصرية خاصة من بين أولئك المحسوبين على التيار الإسلامي؟

في اعتقادي أن الأمر ليس عبثا أو محض مصادفة فاللقاء ليس لقاء عاديا وإنما هو لقاء يحضره رئيس دولة كبيرة بحجم الدولة الإيرانية التي يقوم رئيسها بزيارة مصر للمرة الأولى منذ ٣٤ عاما ومن ثم فليس من المنطقي أن تكون تفاصيل اللقاء بدءا من أسماء المشاركين وانتهاء بطبيعة الموضوعات والقضايا المطروحة للنقاش ومرورا بمكان اللقاء وطريقة الجلوس أمرا عبثيا أو عفويا إذ يُفترض أن القائم بأعمال السفارة الإيرانية هو من رتب لكل هذه التفاصيل وهو ما يشجعنا على القول بأن جلوس رئيس حزب العمل على يسار نجاد كان له دلالته السياسية التي حملت إشارة قوية على أن هناك علاقة قوية للغاية تربط بين الرجل والدولة الإيرانية خاصة وأن رئيس حزب العمل بصفته الاعتبارية وبصفته الشخصية بل وحزب العمل ذاته سواء القديم أو الجديد لم يعد لهما الوجود السياسي القوي في الشارع المصري مقارنة بأحزاب وقوى سياسية أخرى استطاعت أن تحتل حيزا سياسيا كبيرا وكانت أولى من منطلق المنفعة السياسية لمحاولات تقرب إيران إليها وكسب ودها.

علاقة قديمة

لكن إيران وكما هو واضح لا تنظر لواقع حزب العمل أو لرئيسه من هذا المنظور الضيق فهي تتعاطى مع تيار سياسي وشخصية سياسية تعود علاقتها بهما إلى أكثر من عقدين من الزمن حيث كان حزب العمل أحد أهم القوى السياسية التي حرصت على التواصل مع الدولة الإيرانية وقياداتها في أصعب الفترات توترا في العلاقة بين طهران والقاهرة وهو ما جعل الحزب وصحيفته (الشعب) التي كانت من أقوى الصحف الحزبية قبل إغلاقها عام ٢٠٠٠م صوتا مدافعا عن إيران وسياساتها، بل وأداة ضغط على النظام المصري بقيادة حسني مبارك من أجل إنهاء حالة الفتور والتوتر في العلاقات بين البلدين.

والحقيقة أن الحزب نجح إلى حد ما في القيام بدور فاعل في هذا المجال فقد ظل لسنوات طويلة يدافع عن التوجهات الإيرانية ويحاول جاهدا إقناع النظام المصري وبعض البلدان العربية بأهمية التحالف والتنسيق مع طهران في إطار تكوين حلف الممانعة ضد الحلف الأمريكي الصهيوني وهو ما كان سببا رئيسيا في وجود

(*) كاتب مصري.

تيار سياسي – وإن ظل نخبويا – يتعاطى مع إيران بشكل مختلف عن الرؤية السائدة في الشارع المصري والتي كانت تستشعر أن إيران غير صادقة في مواقفها الداعمة للمقاومة الفلسطينية إذ أنها في الوقت الذي تدّعي فيه دعم فصائل المقاومة الفلسطينية في الأرض المحتلة كانت تثير المشكلات والقلاقل في مناطق عربية سنية أخرى فضلا عن الوضع الشديد السوء الذي يعيشه أهل السنة في إيران في ظل الانتهاكات الحقوقية المتواصلة ضدهم والتي كان وما زال من بينها إعدام العشرات منهم دون ذنب اقترفوه.

كذلك فقد كان من بين أهم مظاهر العلاقة الإيرانية بحزب العمل أن خصص الحزب الكثير من أدبياته كتبا ودراسات تتحدث عن الدولة الإيرانية وعن كونها نموذجا للنهضة والتنمية يجب أن يحتذى في مصر والعالم العربي وهو ما مثل ضمنيا دفاعا عن الثورة الخمينية ومبادئها من ناحية ومحاولة للترويج لهذه الثورة من جهة أخرى إذ كانت الانطلاقة التي تعيشها إيران – بحسب أدبيات حزب العمل – أثرا من آثار فكرها ونهجها.

دوافع وأسباب

يحاول البعض أن يربط بين هذا التوجه الذي تبناه حزب العمل تجاه إيران وبين تولي المستشار الدمرداش العقالي منصب نائب رئيس الحزب حتى عام ١٩٨٥م، والعقالي كان قد تحول إلى التشيع في السبعينيات من القرن الميلادي الماضي، وعليه فإن اقتراب الحزب من إيران أو العكس كان السبب وراءه هو أن شيعيا وجد لنفسه موطئ قدم في قيادة حزب سياسي يحمل أفكارا ربما لا يتعارض الكثير منها مع المبادئ الإسلامية وهو ما يعد فرصة يجب أن لا تفوت.

وهو أمر يحتاج إلى كثير نظر خاصة وأن الرجل كان قريبا جدا من الرئيس السابق مبارك وهو ما دفعه إلى ترك حزب العمل والالتحاق بالحزب الوطني الحاكم في حين بقي الحزب على نهجه بل وبالغ في موقفه من إيران خاصة بعد أن تولى الأستاذ عادل حسين الكاتب والمفكر المصري المعروف منصب الأمين العام للحزب، والذي كان لا يتردد في زيارة إيران متحديا بذلك نظام مبارك وهو ما استفز أجهزة الأمن المصرية للدرجة التي لم تتردد فيها لتدبر له مؤامرة تتهمه فيها بالتجسس والعمل لحساب إيران في مصر وأنه أداة التواصل بين الدولة الإيرانية وعناصر الجماعات الإسلامية المسلحة وهي القضية التي أثارت الرأي العام ودفعت بعض المثقفين اليساريين المصريين من أصدقاء عادل حسين ومن بينهم الكاتب الشيوعي عبد الستار الطويلة لإثارتها إذ خاطب الطويلة الرئيس مبارك علانية خلال حفل افتتاح معرض القاهرة الدولي للكتاب حيث طالبه بتقديم الأدلة على التهم الموجهة لعادل حسين وهو ما عجز عن تنفيذه وزير الداخلية آنذاك ما كان سببا في إحراج مبارك فاضطر إلى إصدار قرار بالإفراج عن حسين بعد أن تم احتجازه لنحو ٤٥ يوما.

وبالطبع لم تثنِ هذه القضية حزب العمل عن الاستمرار في دعم المواقف الإيرانية حيث استمر الحزب على نهجه حتى بعد أن تم تجميد نشاطه وغلق صحيفته عام ٢٠٠٠م ثم وفاة عادل حسين في مارس ٢٠٠١ حيث واصل الحزب بقيادة مجدي حسين سبيله على موقع الصحيفة على شبكة الإنترنت فضلا عن المؤتمرات الجماهيرية التي كان يعقدها الحزب في المسجد الأزهر كل يوم جمعة والتي كانت تتضمن خطبا وكلمات لقيادات الحزب تدعم وتؤيد السياسات الإيرانية أو تحركات حزب الله الذي هو أحد أهم حلفاء طهران.

وما أن وقع الاعتداء الأمريكي السافر على أفغانستان عام ٢٠٠١م حتى تخيل المراقبون أن ثمة تغييرا سيطرأ على موقف حزب العمل وغيره من الأحزاب المصرية من إيران بعد أن تأكدت الأدلة وباعتراف بعض قيادات إيران بأنها هي من ساعدت أمريكا على غزو أفغانستان ثم أعقب هذا الغزو الأمريكي لأفغانستان غزوا آخر للعراق عام ٢٠٠٣ م والذي جاء أيضا بدعم إيراني وفق ما صرح به محمد علي أبطحي نائب الرئيس الإيراني آنذاك والذي قال «إن أمريكا لم تكن لتحلم بغزو العراق أو أفغانستان لولا الدعم الإيراني».

وكان يفترض أن تكون هذه المواقف المشينة جديرة

بأن تقطع الطريق على أية قوة سياسية تتسق مع ذاتها وتصدق مع نفسها لاستمرار التواصل مع إيران باعتبارها قوة إسلامية تصب في صالح الأمة العربية والإسلامية وهو بكل أسف ما لم يحدث حيث اكتفى الحزب وبوجه خاص أمينه العام مجدي حسين بالصمت عن كبائر إيران فلم يصدر بيانا واحدا يدين مثل هذه المواقف أو يقترب من ذكرها على الرغم من اهتمامه الشديد بإدانة العدوان الأمريكي على كلا البلدين.

والحقيقة أن هذا الموقف الغريب من مجدي حسين انتقده بعض الفاعلين والناشطين السياسيين العراقيين وخاصة من أهل السنة المقربين من هيئة علماء المسلمين إذ أسرّ لي أحدهم من المتواجدين في القاهرة بأن مجدي حسين لا يجرؤ على إغضاب الإيرانيين ولا يمكن أن ينتقد الموقف الإيراني من الغزو الأمريكي كما لا يمكن أن يدين سياسات إيران في العراق.

علامات استفهام

ربما يكون كل ما سردناه سابقا في محاولة الربط بين إيران وحزب العمل يراها البعض محاولات متعسفة تريد أن تثبت وهماً في عقول معتقديها وهو قول إلى حد كبير صائب في حال خلا الأمر من بعض المسائل التي تتضافر لتأكيد ما ذهبنا له والتي تعطي شعورا لا شك فيه لدى الذين اقتربوا من حزب العمل بشكل خاص بأن هذه العلاقة لا تتحرك بشكل طبيعي أو أنها تنطلق من حسابات المصلحة العامة للأمة.

وهنا يكفينا أن نسوق بعض المعلومات ونترك للقارئ حرية الحكم عليها والاستنتاج ومنها:

١- أن الدكتور رفعت سيد أحمد الذي يشرف على لجنة دعم المقاومة الإسلامية في الجنوب اللبناني – حزب الله – ويرأس مركز يافا للدراسات الذي يصدر العديد من الدوريات والكتب لدعم حزب الله هو أحد قادة حزب العمل سابقا فهو صحفي بصحيفة الشعب كما كان رئيسا لتحرير مجلة منبر الشرق الصادرة عنه في أوائل التسعينيات كما أنه كان عضوا بلجنته التنفيذية.

والمعلوم عن مركز يافا أنه يقوم بدور كبير جدا في الدفاع عن أفكار ومنهج حزب الله ومن ثم الجهات الممولة والداعمة له كإيران وسوريا في حين يهاجم وبضراوة بعض الدول السنية فهل هذه مصادفة؟

٢- أن من بين العناصر التي تشيعت وأصبح لها دور سياسي بارز في الفترة الراهنة بعضاً ممن كانوا أعضاء بحزب العمل ومن بين هؤلاء: محمود جابر الذي كان عضوا بأمانة شباب الحزب بمحافظة الشرقية وكان يعمل مدرسا وفجأة أصبح يعمل باحثا في مركز يافا لسنوات قبل الثورة ثم يتولى موقع الأمين العام لحزب التحرير الشيعي الذي يرأسه الدكتور أحمد راسم النفيس فهل هذه مصادفة أيضا؟

٣- على المستوى الإعلامي لوحظ أن من تولى منصب مدير مكتب قناة العالَم الإيرانية الناطقة باللغة العربية في القاهرة هو الصحفي أحمد السيوفي وهو أحد صحفيي صحيفة الشعب في حين أن من تولى إدارة مكتب قناة المنار الناطقة باسم حزب الله هو الصحفي محمود بكري الذي كان يوما ما أيضا مديرا لتحرير صحيفة الشعب فهل هذه مصادفة؟

٤- الموقف المتشدد لمجدي حسين ضد نشر أية مقالات أو موضوعات صحفية يبدو فيها انتقاد لإيران أو لسياساتها، وقد كنت شخصيا شاهدا على حادثة من هذا النوع خلال عملي في صحيفة الشعب الإلكترونية عام ٢٠٠٧م حيث كتب الأستاذ محمد السخاوي الذي كان يتولى أمانة التنظيم مقالا انتقد فيه الدور الإيراني في العراق وتم نشره دون أن يراجعه مجدي حسين، وما أن اطلع عليه حتى أصدر قرارا برفع المقال من الموقع، وهو ما أغضب السخاوي بشدة وكان بداية لتوتر العلاقة بينهما والتي انتهت باستقالته فيما بعد، ومشاركته في تأسيس حزب التوحيد العربي.

تكررت حادثة السخاوي مع قيادي آخر هو أبو المعالي فائق الأمين العام لمساعد للحزب والذي لم يقبل مطلقا مجدي حسين أن ينشر له أي مقال يدين فيه الموقف الإيراني الداعم للرئيس السوري بشار الأسد في تحركاته لإجهاض ثورة الشعب السوري، وهو ما اعتبره

أبو المعالي موقفا يتناقض مع مبادئ الحزب الذي يفترض أنها تدعم كل المظلومين والمقهورين وتسعى لتحرر الشعوب.

وقد صرح أبو المعالي وفق حديث خاص معي عن أنه أعلن تبرمه من هذا النهج عدة مرات وخاطب العديد من قيادات الحزب في هذا الأمر غير أن مجدي حسين أصر على موقفه وهو ما اضطره في النهاية إلى تقديم استقالته والإعلان عنها ونشرها في العديد من الصحف.

ومما جاء في خطاب الاستقالة: «إننى رأيت تحولا خطيرا في الحزب عقب ثورة ٢٥ يناير وبخاصة فى الشهور القليلة الماضية على المستويين الداخلى - حيث الإقصاء المتعمد بسبب الاختلاف فى وجهات النظر - والخارجى - الموقف من سوريا وإيران وحزب الله - حيث ما زال البعض ينظر إليهم بأنهم «مقاومون» وهم من وجهة نظرى قتلة مجرمون يشاركون الإرهابى «بشار» فى قتل الشعب السوري - الأمر الذى جعلني أشعر بنوع من التناقض مع الذات وأن هذا الحزب ليس هو الحزب الذى تعلمت منه أن أقف وأدافع عن المقهورين أينما كانوا وبخاصة فيما يتعلق بالوضع السوري وانحياز إيران وحزب الله السافر ضد ثورة الشعب السوري».

٥- الموقف المتخاذل من دعم وتأييد الثورة السورية إذ التزم حزب العمل ولفترة طويلة الصمت منذ اندلاع الثورة السورية في مارس ٢٠١١م وحتى شهر أكتوبر ٢٠١٢ تقريبا وهو ما شكل تناقضا آخر إذ يفترض أن يكون مجدي حسين واتساقا مع نهجه الثوري مؤيدا وداعما للثورة السورية وهو ما لم يفعله للعلاقة الوثيقة بين بشار الأسد والنظام الإيراني.

٦- الحديث المتكرر عن تشيع مجدي حسين استنادا لبعض الأفكار التي يطرحها في الندوات واللقاءات التثقيفية الخاصة بأعضاء الحزب وكوادره.

وعلى الرغم من أن مثل هذا الحديث ربما يكون حديثا مبالغا فيه خاصة وأن كاتب هذه السطور كان قريبا من الرجل لفترة طويلة من الزمن حيث كنت أمينا لشباب الحزب وعضوا بالمكتب التنفيذي له ومن ثم فقد كنت ألتقي الرجل لقاء شبه يومي سواء في منزله أو بالمركز العربي للدراسات بمنيل الروضة ولم يحدثني يوما عن تشيعه أو يدعوني للتشيع غير أنه ناقشي مرات قليلة في أن هناك بعض الأحاديث بصحيح البخاري تبدو مرفوضة عقليا أو أنها متناقضة مع ما جاء في القرآن الكريم، لكن الذاكرة لم تسعفني لتذكر هذه الأحاديث بالضبط، فهذه الحوارات تعود لعام ٢٠٠٥م وهو ما يعد أثرا من آثار التقارب مع الشيعة.

لكن في المقابل هناك من يصر على أن مجدي حسين تشيع بالفعل، ومن بين هؤلاء: الصحفي أسامة عبد الرحيم الذي كان ناشطا بالحزب وعمل أيضا في صحيفة الشعب الإلكترونية إذ يقول: «إنه وبعد وفاة عادل حسين أحضر المستشار الدمرداش العقالي مرجعا شيعيا إيرانيا اجتمع مع مجدي حسين باعتباره رئيس تحرير الشعب وموقعه الحزبي وهو من قام بدعوة مجدي للتشيع»، ويضيف عبد الرحيم أن علامات تشيع مجدي حسين كثيرة ومنها انتقاصه للصحابة دوما خاصة في الندوات التي يعقدها في شقة شبرا ورفضه الدائم لإصدار بيان لإدانة الموقف الإيراني من أحداث سوريا».

وأوضح عبد الرحيم أن المرجع الشيعي الذي التقى مجدي هو من موّل حزب العمل الجديد الذي تم تأسيسه على أطلال الحزب القديم كما عرض المرجع شراء مطبعة كاملة باسم الحزب والصحيفة.

ويروي عبد الرحيم أن مجدي قال على الملأ: «لولا وفاة حفيد رسول الله – عليه الصلاة والسلام - مكنتش فكرت أعمل حزب ولا أدخل السياسة من الأساس».

٧ – الزيارات المتكررة لأعضاء حزب العمل وعلى رأسهم مجدي حسين لإيران وكان آخرها تلك الزيارة التي قام بها مجدي لطهران في شهر إبريل من عام ٢٠١١م أي بعد تنحي مبارك بأقل من ثلاثة أشهر وإعلانه أنه يعتزم الترشح لرئاسة الجمهورية وهو توقيت بالطبع ذو مغزى لا يمكن أن يخفى على أي متابع إذ يبدو أن مجدي حسين كان يقدم نفسه لإيران باعتباره شخصية ذات ثقل شعبي وجماهيري وأنه يمكن أن ينافس على منصب أعلى رأس في الدولة وهو ما تحتاج إليه إيران حتى تكسر الحاجز بينها وبين مصر.

وقد عكست اللقاءات التي عقدها مجدي حسين في طهران حجم التقدير الإيراني له وأن طهران لا تتعامل معه باعتباره زائرا عاديا إذ التقى مجدي حسين - وفق مقال كتبه ونشره في صحيفة الشعب- كلاً من وزير الخارجية علي أكبر صالحي الذي استقبله استقبالا حافلا وجلس معه قرابة الساعة ثم وفي تصرف غير بروتوكولي – بحسب وصف مجدي نفسه - أصر الوزير على مصاحبته إلى الممر الخارجي المفضي إلى المصعد.

كما التقى الدكتور سعيد جليلي أمين سر المجلس الأعلى للأمن القومي وهو مجلس يرأسه رئيس الجمهورية ويختص بتحديد السياسات العامة الداخلية والخارجية ليستقبله هو الآخر استقبالا حافلا ليدخل معه في حوار مطول بمشاركة مساعديه ينتهي بإصرار جليلي على توصيل مجدي حسين لأسفل المبنى.

ثم التقى أيضا الدكتور علي لاريجاني رئيس مجلس الشورى والذي رحب ترحيبا شديدا بمجدي حسين ثم كان حوارهما الذي تناول الأوضاع في مصر.

كذلك الزيارة التي قام بها كل من مجدي حسين والدكتور مجدي قرقر والدكتور أحمد الخولي لإيران للمشاركة في مؤتمر الصحوة الذي استضافته العاصمة طهران في شهر سبتمبر عام ٢٠١١م والذي قاطعته أغلب الحركات السنية، والذي من المعلوم أنه كان يستهدف شرعنة وصاية الثورة الإيرانية على الصحوة الإسلامية والربيع العربي.

وكان لمجدي حسين كلمة في هذا المؤتمر، فيما التقى مع علي أكبر ولايتي، المسئول عن العلاقات الدولية فى مكتب المرشد علي خامنئي.

وفي هذا الصدد لا يمكن أن نتجاهل أيضا مسألة انتخاب مجدي حسين عضواً بالمجلس المركزي للرابطة الدولية للخبراء والمحللين السياسيين، والتي هي أحد إفرازات مؤتمر طهران والتي انعقدت هيئتها العامة في بيروت في ٢٠١٢/٩/٦، واختيرت طهران مقراً لها!!

وأعتقد أن التعليق هنا لا يفيد كثيرا في تحديد مسار ما يمكن أن يذهب إليه ذهن القارئ إذ تبدو العلاقة بين المسئولين الإيرانيين ومجدي حسين علاقة غير عادية.

عبر البوابة الصوفية..
صعيد مصر بين فكّي إيران

معتز بالله محمد(*) – خاص بالراصد

في جنوب الجنوب، بعيدا عن أعين العاصمة التي لا تنام، وحيث يعيش بسطاء القوم على قليل من الخبز والعلم أيضا، تتسلل خلسةً العمامة السوداء، بين أناس عُرفوا بطبيعة الحال بعشقهم لآل البيت، تتدحرج من قرية إلى أخرى ومن نجع إلى آخر، فتتسع رقعة التابعين، ويتحول صعيد مصر - بحسب محللين – إلى قاعدة ضخمة للتشيع في البلاد.

كان نشر التشيع في مصر بلا شك من أولويات النظام الإيراني، الذي تمكن عبر تمويل ضخم واستقدام عدد من الطلاب المصريين للدراسة في الحوزات الإيرانية في جعل هذه المنطقة التي تعج بالمشكلات الاقتصادية والاجتماعية بوابة لالتهام مناطق أخرى من الصعيد، لاسيما بعد الثورة المصرية والفوضى الأمنية التي تعم البلاد وغياب الرقابة عن مؤسسات الدولة الغارقة بطبيعة الحال في مشكلاتها، وقد وصل هذا الخطر إلى حد التحذير من تحويل مدينة قوص بمحافظة قنا إلى عاصمة شيعية.

بوابة الصوفية

وجد الفكر الشيعي في جنوب الصعيد تربة خصبة للانتشار والتمدد انطلاقا من عدة أسباب محورية أهمها انتشار الكيانات الصوفية، فمن يجيد قراءة تاريخ تسلل الشيعة للبلدان السنية يجد أنهم يستخدمون التقية- التي تمثل تسعة أعشار عقيدتهم- للبحث عن عائل أو بيئة حاضنة يذوبون فيها ظاهرا، ويستخدمونها في التوغل داخل المجتمع سرا، وهي فترة الإعداد التي قد تستغرق

(*) كاتب مصري.

عقودا طويلة، حتى ينجحوا في تكوين قاعدة عريضة من المؤيدين لفكرهم، تؤهلهم عندما تتوافر الظروف للظهور بشكل علني، وتحدي سلطة الدولة وإملاء شروطهم، أو حتى إعلان الانفصال عن الدولة.

هذا ما يحدث تماما في جنوب صعيد مصر حيث وجد الفكر الشيعي ضالته في الطرق الصوفية التي تنتشر بغزارة في هذه المنطقة، ومعروف بالطبع الصلات التاريخية والتقارب العقدي بين الصوفية والروافض بل ويجزم البعض أن حركة التصوف وليدة التشيع.

يقول الكاتب والقيادي الشيعي المصري المثير للجدل صالح الورداني في كتابه «الشيعة في مصر»: «وعلى الرغم من أن صوفية مصر يرفعون شعار الخلفاء الأربعة الذي تقوم على أساسه عقيدة أهل السنة - ذلك الشعار الذي اخترع خصيصا لضرب آل البيت - رغم ذلك هناك اتجاهات صوفية لديها قدر من الوعي يؤهلها لفهم حقيقة المؤامرة التي حيكت ضد آل البيت ويخرجها من دائرة التصوف إلى دائرة التشيع...»، (ص ٧١).

كذلك يقول الورداني الذي تشيع عام ١٩٨٥م: «هناك عدد من المدن في مصر برز التشيع فيها وارتبط بها دون غيرها من مدن مصر، ولعل السبب في ذلك يعود إلى هجرات الطالبيين أو العلويين إلى هذه المدن، أو يعود إلى وجود عدد من دعاة التشيع الذين استقروا بها، وجنوب مصر بمدنه أسوان واسنا وادفو وأرمنت وقفط كان مركزا للتشيع حتى فترة قريبة ولا تزال به بقايا تشيع حتى اليوم». (ص ٧٤).

وفي حوار أجراه معه موقع «صدى البلد» في ٢٠١٢/١٠/٨م يقول الورداني الذي أعلن بعد إحدى زياراته لإيران عن إنشاء جمعية آل البيت: «الشيعة فى مصر أربعة قطاعات، الأشراف الطالبيين نسبة لـ«على بن أبى طالب»، والطرق الصوفية وهي أقرب للتشيع، والإيرانيين «المتمصرين» وهم إيرانيون شيعة وفدوا إلى مصر فى هجرات القرن الـ١٨ وهم سكنوا القاهرة واشتغلوا بالتجارة ومن أشهرهم زوجة أحد الرؤساء السابقين[1] وأسرة الدكتورة فرخندة حسن رئيس المجلس القومي للمرأة السابقة، والقطاع الجديد هو الشباب المتحول من التيارات الإسلامية، وهذا التيار قد دخلت «التشيع» عن طريقه».

وتعد الطريقة الرفاعية بالصعيد نسبة لأحمد الرفاعي من الطرق ذائعة الصيت في صعيد مصر، كذلك فإن الرحيمية القنائية تعتبر من أشهر الطرق الصوفية هناك، والتي تأسست قبل أكثر من ٦٠ عاما على يد الشيخ عبدالرحيم القنائي الذي يروي أتباعه أن نسبه ينتهي إلى الحسين رضي الله عنه.

كذلك تعتبر «السناجق» فى محافظة أسوان ودشنا من الطرق المشهورة أيضا وتعود للشيخ أحمد محمود السنجق وكان من علماء الأزهر، توفي عام ١٨٢٦م ليدفن بمقامه المعروف بصعايدة ادفو.

مقامات أم حسينيات!

وتنتشر مقامات وأضرحة الصوفية بمحافظات الصعيد بشكل غريب فهناك أكثر من ٥ آلاف مقام، نجحت إيران في تحويل بعضها سرا إلى حسينيات، وهو ما كشفت عنه صحيفة «المصريون» في ٢٠١٣/٣/١ حيث قالت: «وبالفعل نجحت الحوزات العلمية الشيعية فى إيران والعراق فى دعم العشرات من أئمة ومشايخ الطرق الصوفية لإقامة حسينيات شيعية داخل مراقد ومقامات الأولياء والصالحين والمنتسبين لآل البيت عليهم السلام».

وتتابع الصحيفة كاشفة عن خارطة الحسينيات في مصر: «وفي محافظة أسوان على وجه التحديد نجحت إيران فى إنشاء عشر حسينيات شيعية داخل أضرحة ومراقد بعض الأولياء المنتسبين لآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام وهذه المراقد الصوفية الشيعية ترفرف فوقها الأعلام الحسينية الشيعية الخضراء».

وكانت تحذيرات أطلقها مؤخرا زيدان القنائي مدير منظمة العدل والتنمية لحقوق الإنسان بقنا من خطورة المد الشيعي في جنوب الصعيد مؤكدا وجود خلايا شيعية

---

(١) يقصد تحية كاظم، زوجة جمال عبد الناصر، والبعض ينسبها للبهائية. الراصد.

إيرانية في محافظتي أسوان والأقصر تخترق الكيانات الصوفية المنتشرة هناك وتختفي وسطها.

وبتاريخ ٢٠١٣/٢/١٥ نقل موقع «مفكرة الإسلام» عن القنائي ضرورة تصدي التيارات الإسلامية للمد الشيعي في صعيد مصر، مبديا تخوفه من تحويل مدينة قوص إلى عاصمة شيعية، ومن استعداد قادة الفكر الشيعي في مصر لتحويل المقامات والأضرحة الصوفية إلى حسينيات.

وباعتراف أحدة قادة الشيعة فإن الصعيد هو المأوى الأكبر لشيعة مصر، ويرى محمد غنيم مؤسس التيار الشيعي المصري أن هناك عدة أسباب تقف وراء ذلك أهمها انتشار الطرق الصوفية في الصعيد، إضافة إلى بساطة السواد الأعظم من مواطني هذه المحافظات الذين يتم التأثير عليهم بسهولة، ويضيف أن هجرة عدد كبير من الإيرانيين قبل الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ إلى محافظات صعيد مصر خاصة كالأقصر وأسوان، لعبت دورا كبيرا في نشر التشيع في هذه المناطق.

الأشراف

ويرى متابعون أن قبائل الأشراف لعبت دورا كبيرا في نشر الفكر الشيعي في جنوب الصعيد، عبر استغلالها لتكون عائلا آخر للطفيل الشيعي تحت شعارات «حب آل البيت»، يقول الورداني في كتابه سالف الذكر: «ينتشر الأشراف اليوم في صعيد مصر وهناك بلدة في الجنوب تتبع محافظة قنا تسمى «الأشراف» ومعظم أهلها ينتسبون إلى أهل البيت مما يشير إلى الهجرات الطالبية والشيعية لجنوب مصر».

ويواصل الورداني حديثه فيقول: «والأشراف في الأصل هم من شيعة أهل البيت الذين وفدوا إلى مصر وقد انصهروا في المجتمع المصري السني بفعل ضغوط سياسية واجتماعية إلا أنه لا زال هناك القليل منهم متمسكا بعقيدته الشيعة ... ويبدو هذا عند قبائل الجعافرة التي تسكن جنوب مصر حول محافظة أسوان والتي تدعي الانتساب للإمام جعفر الصادق. فهذه القبائل غالبيتها من المنتسبين للطرق الصوفية والقلة القليلة منها تلتزم بعقيدة الشيعة الإمامية» (ص ٧٣).

ويؤكد علاء السعيد، أمين عام «ائتلاف المسلمين للدفاع عن الصحب والآل» في حوار أجرته معه صحيفة «الوطن» المصرية ٢٠١٢/٧/٩م على الدور الذي تلعبه قبائل الأشراف في تسهيل مهمة نشر التشيع لافتا إلى أن الحسنيين أو الحسينيين المنحدرين من نسل الحسن والحسين رضي الله عنهما يتركزون خصوصاً في محافظتي قنا وأسوان، ويتابع السعيد قائلاً: «وبالإضافة إلى قبائل الأشراف، سواء الحسنيون أو الحسينيون، فهناك قبائل العقيلات التى تتركز في هذه المنطقة. ومن خلال هذه التركيبة القبلية التى درسها الشيعة باقتدار فإن دعاتهم يرددون الشعارات الجاذبة لهذه القبائل، مثل الدعوة إلى إقامة دولة آل البيت، محاولين ترغيب الجماهير في فكرة الحكم والتمكين لهذه الجموع، كنوع من التعزيز الإيجابي، ومن خلال جلب الاستعطاف بسرد روايات مدسوسة ومبالغ فيها، ليس لها أسانيد صحيحة عن الاضطهاد الذى تعرض له آل البيت على يد أعدائهم، كنوع من الدعاية بالاستجداء».

لماذا الصعيد؟

قد يتساءل البعض حول الأسباب التي دفعت إيران إلى التركيز على صعيد مصر، وبرغم وجود أسباب مقنعة تتلخص في البعد عن دائرة الضوء، ووجود القبائل التي تنتمي إلى الأشراف والحركات الصوفية والتي يسهل التأثير على بعضها، إضافة إلى بساطة العامة وتعلقهم بآل البيت فإن هناك سببا أو بالأحرى هدفا استراتيجيا قد يكون بعيدا كل البعد عن تفكير البعض وهو السيطرة على أهم المضائق المائية في المنطقة، الأمر الذي يكشفه السعيد بالقول: «ولكن جنوب الصعيد بشكل عام يحتل مكانة استراتيجية مهمة للشيعة، لأنه بوابة السودان، ومنابع النيل سواء الاستوائية منها أو الحبشية».

ويردف أمين عام «ائتلاف المسلمين للدفاع عن الصحب والآل» بالقول: «كما أن السودان بحكم متاخمته لإريتريا وامتداده لمسافة طويلة على ساحل البحر الأحمر من السهل أن يسيطر ويتحكم بالاشتراك مع اليمن في حركة الملاحة في مضيق باب المندب، وبالتالي

في حركة ملاحة البحر الأحمر، وإذا تمت سيطرة الشيعة على هذا المضيق مع سيطرتهم على مضيق هرمز، وجزء كبير من الخليج العربي، فيمكنهم بذلك أن يتحكموا في حركة التجارة العالمية بصورة كبيرة ومفزعة».

وكلاء إيران

غير أن هذه العملية ما كانت لتتم دون وجود من ينوب عن إيران في نشر أسس المذهب الشيعي، حيث تتحدث معلومات غير مؤكدة عن تخريج دفعة جديدة تضم ٥٠ متشيعا مصريا سافروا إلى إيران بطريقة سرية عبر سوريا والعراق، وحصلوا على دراسات عليا بالحوزات العلمية الإيرانية بمدينة قم بعد حصولهم على العلوم الشرعية الشيعية الإثني عشرية.

وبحسب صحيفة «المصريون» فقد أكد محمود حامد المتحدث باسم التيار الشيعي أن هناك عددا كبيرا من المصريين تقلدوا العمامة على يد مراجع إيرانية - وهي درجة تخول لصاحبها تدريس مبادئ المذهب الشيعي – مضيفا إنها درجة عالية جدا قد تستغرق من طالبها وقتا طويلا قد يمتد إلى ١٠ سنوات.

السياحة الإيرانية

من هنا تأتي الخطورة المضاعفة لمشروع السياحة الدينية لمصر والذي تسعى له إيران من سنوات طويلة، فبحسب تطمينات وزير السياحة المصري فإن السياح الإيرانيين لن يمكثوا في القاهرة بجوار مقامات آل البيت إلا وقتا قصيرا، وإن غالبية وقت الزيارة ستكون في مدينتي الأقصر وأسوان، فهذا في الحقيقة هو مكر خطير وخداع رهيب.

فإن تركيز إيران على نقل السياح لهذه المناطق هو تقوية ضخمة للوجود الشيعي اقتصادياً وشيعياً من خلال تدفق عشرات الآلاف من الإيرانيين للتواصل مع المتشيعين في هذه المناطق، فهل ندرك اللعبة قبل فوات الآوان؟

خاتمة

وفي النهاية فإن حملات التوعية من خطر الشيعة في صعيد مصر والتي قادها مؤخرا حزب النور السلفي بمحافظة قنا إضافة إلى الجماعة الإسلامية على أهميتها وضرورتها لا تكفي لدرء هذا الخطر المحدق بأكبر دولة سنية في العالم العربي، فعلى الدولة المصرية التنبه إلى خطورة الموقف، وفتح أعينها الأمنية في صعيد البلاد، لاسيما بعد الإعلان عن إنشاء ما يسمى الحرس الثوري المصري، الذي قال عنه أمينه العام محمد الحضري، بأنه يمثل حركة مقاومة، وإنهم سيحققون أهدافهم، حتى لو استلزم الأمر تحقيق ذلك بامتلاك السلاح ورفعه فى وجه من يقف فى طريق أهدافهم!

المالكي يرسخ التشيع في بغداد

عبد الحميد الكاتب[*] – خاص بالراصد

لا يختلف المراقبون والمتابعون للشأن العراقي بأن «الصراع على بغداد» يمثل جوهر الأزمة القائمة منذ عام ٢٠٠٣، فهذا ما يؤمن به طرفا الصراع (السنة والشيعة)، ولا يتورعون من التصريح به.

فالشيعة كان بإمكانهم الاكتفاء بالجنوب والوسط حيث: أكثريتهم السكانية، والثروة النفطية، ومراقدهم - المقدسة حسب معتقدهم - وهذه العناصر الثلاثة تؤمّن لهم ما كانوا يطمحون إليه من حرية دينية وانتعاش اقتصادي وانعتاق من الحكم السني، إلا أن سعيهم للسيطرة على بغداد يحمل عدة أبعاد منها:

١- السعي للسيطرة على العراق عبر السيطرة على عاصمته السياسية (بغداد)، وهو أمر ثابت بالتجربة واستقراء التاريخ، فضلاً عن أن الواقع يصدقه ويؤكده؛ فبعد انتهاء المرحلة الأولى من عملية تشييع بغداد بواسطة مليشيات الصدر خلال عامي (٢٠٠٦- ٢٠٠٧)، امتدت أطماع الحكومة إلى كركوك ومناطق الأكراد، وشكلت قوات «عمليات دجلة» التي استفزت قادة إقليم كردستان ودعتهم للاستنفار والتحشيد العسكري والتهديد بالانفصال والاستقلال واتهام رئيس الحكومة

(*) كاتب عراقي.

نوري المالكي بالدكتاتورية.

وقبل ذلك امتدت أيدي الشيعة إلى سامراء وعملوا من أجل عزلها عن محافظة صلاح الدين السنية وإعلانها محافظة شيعية مقدسة!

٢- السعي لإخضاع عاصمة العراق «الثقافية والتاريخية والروحية» للمذهب والثقافة الشيعية، فالسيطرة على بغداد تعني انتزاعها من جسد الوطن العربي والأمة الإسلامية وضمها إلى البلاد الخاضعة للحكم الشيعي وهو انتصار معنوي كبير يضاف إلى الإنجاز المادي (السياسي والعسكري) فبغداد تمثل أهم معالم الحضارة الإسلامية والعربية.

في الجانب المقابل أحسّ العرب السنة بتهديد يستهدف وجودهم منذ أن بدأ إبراهيم الجعفري (رئيس الوزراء السابق) بتنفيذ مشروعه الاجتثاثي عبر قوات وزارة الداخلية وما عُرف حينها بـ (فرق الموت)، وتأكدت هذه القناعة بعد أحداث سامراء (شباط ٢٠٠٦) حيث أصبح التحذير من «تشييع بغداد وطرد السنة منها» شائعاً في أحاديث السياسيين السنة وفصائل المقاومة، وقد اعترفت بعض القوى السنية عام ٢٠٠٨ بأن المليشيات الصدرية نجحت في السيطرة على بغداد وتحويلها إلى مدينة شيعية.

وبعد انطلاق الانتفاضة السنية (أواخر كانون الأول ٢٠١٢) سارع المتظاهرون إلى التصعيد مطالبين بتأدية صلاة الجمعة في الأعظمية (أكبر المناطق السنية شرق بغداد)، وهو ما أرعب الحكومة ودفعها لاتخاذ جملة من الإجراءات للحيلولة دون وصول أبناء المحافظات السنية إليها، فيما واصل المعتصمون التأكيد على مطلبهم وهو «الوصول إلى بغداد» وتحريرها وفتحها وتخليصها من قوى التسلط الطائفي، وهو مطلب نابع من قناعة راسخة بأن الحسم لا يكون إلا في بغداد.

المالكي وتعزيز النفوذ الشيعي في بغداد

لم يكتفِ المالكي بالإنجاز الذي حققه الصدريون خلال عامي (٢٠٠٦ و٢٠٠٧) والمتمثل بتحويل السنة في بغداد إلى أقلية مستضعفة، وإنما شرع في المرحلة الثانية من عملية «تشييع بغداد» والتي تهدف إلى ترسيخ ودعم نتائج الإنجاز الميداني الذي حققته مليشيات الصدر، وسنلخص هنا أهم ما قام به المالكي وحكومته لتعزيز الوجود الشيعي في بغداد على مختلف المستويات.

أولاً: المستوى الديني

منذ أن تولى المالكي رئاسة الوزراء (حزيران ٢٠٠٦) وحتى يومنا هذا، تأسست في بغداد عدة جامعات شيعية أبرزها:

١- كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة عام ٢٠٠٨.

٢- جامعة الإمام جعفر الصادق عام ٢٠٠٨، والتي اتخذت من جامعة البكر للدراسات العسكرية (سابقاً) مقراً لها، وذلك بعد استيلاء (حسين الشامي – مستشار المالكي ورئيس ديوان الوقف الشيعي سابقاً) على الأراضي والمنشآت التابعة لجامعة البكر عبر صفقة فاسدة مع وزارة الدفاع[1].

٣- كلية أصول الدين الجامعة والتي افتتحها المالكي يوم ٢٠١٣/١/٣٠.

وقد أسس هذه الكلية المرجع الشيعي مرتضى العسكري عام ١٩٦٤ وهي من أوائل الكليات الأهلية المعترف بها من قبل وزارة التعليم العالي لكنها أغلقت من قِبل النظام السابق عام ١٩٧٦.

ولعل انتشار هذه المؤسسات التعليمية الدينية إلى جانب وجود ضريح موسى الكاظم (شمال غرب بغداد) ساهم في تحويل العاصمة إلى مدينة شيعية مقدسة تستقطب طلابهم وزوار مراقدهم.

ثانياً: المستوى الأمني والعسكري

عمل المالكي على تعزيز قوته العسكرية والأمنية في العاصمة من خلال أمرين:

١- استحداث تشكيلات عسكرية وأجهزة أمنية مرتبطة بمكتبه، ويتبع لهذه الفرق معتقلات ومراكز استجواب وتحقيق، ومنها (قوات عمليات بغداد، جهاز مكافحة الإرهاب، لواء ٥٦، قوات «سوات» الخاصة).

٢- زيادة نفوذ حزب الدعوة في وزارة الداخلية

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط ٢٠١١/٥/١.

والأجهزة الأمنية والاستخبارية المهمة، فمعظم الضباط الكبار في الوزارة يوالون أو ينتمون لحزب الدعوة، وأبرزهم الوكيل الأقدم للوزارة «عدنان هادي الأسدي».

وكأن المالكي يحذو حذو الرئيس السوري السابق حافظ الأسد الذي عمل على زيادة النفوذ العلوي في صفوف المؤسسة العسكرية كما قام باستحداث أجهزة أمنية ومخابراتية كجهاز «المخابرات الجوية» وجهاز «الأمن السياسي».

ولم يقتصر المالكي على إنشاء كيانات عسكرية تابعة له، وإنما قرّب الميليشيات الشيعية واعترف بها وأدخلها في الإطار السياسي الرسمي.

فـ «عصائب أهل الحق» بقيادة قيس الخزعلي تملك مقرات ومكاتب في عدد من مناطق العاصمة وتقيم استعراضاتها واحتفالاتها في وسط المدينة.

أما «كتائب حزب الله في العراق» فتصدر بياناتها المؤيدة للمالكي والمهاجمة لخصومه وتعقد مؤتمراتها التي يحضرها عدد من النواب التابعين لائتلاف المالكي، وتنتشر لافتاتها في بغداد وكأنها منظمة مدنية أو جمعية خيرية!

أما «جيش المختار» الذي أعلن واثق البطاط عن تأسيسه مؤخراً، فلا يمكننا اعتباره آخر المنتجات الميليشياوية لحكومة المالكي.

ومعظم قادة هذه التنظيمات المسلحة متورطون بدماء العرب السنة أيام الحرب الطائفية (عام ٢٠٠٦م) وكانوا ملاحقين مطاردين وبعضهم خرج من المعتقل ليدخل إلى العملية السياسية!

وتعمل هذه الميليشيات على تعزيز سلطة المالكي من خلال أمرين:

١- قمع أي محاولة سنية للتظاهر والاحتجاج، وبث الرعب في المناطق السنية عبر الأعمال التقليدية للعصابات (تهديد وتهجير، اختطاف وتعذيب، اغتيال).

٢- ضرب خصوم المالكي من الشيعة، وتأديب المعارضين لسياساته وأطماعه.

يؤمن المالكي بأنه لم يصل إلى السلطة عبر المسلك الشرعي والقانوني، لذلك فهو يسعى لحماية ملكه بزيادة قوته العسكرية، كما أن أطماعه المتزايدة وعدم إيمانه بالشراكة والتوافق يجعلانه حريصاً على تدعيم «نهجه الإقصائي الأحادي» عسكرياً، وهو عادة الحكام المستبدين.

ثالثاً: التضييق على بقايا الوجود السني في العاصمة

يعمل المالكي من خلال أجهزته الأمنية والعسكرية على خنق المناطق السنية في جانبي بغداد (الكرخ والرصافة)، وتوحيد مداخل بعض الأحياء، وتطويقها بالكتل الكونكريتية ونقاط التفتيش، فيغدو الحي سجناً لأهله، ويسهل على القوات الحكومة اعتقال الشباب بطريقة عشوائية عند حصول أي تفجير أو اضطراب أمني.

وتتبع الحكومة هذه الأساليب من أجل الضغط على أبناء تلك المناطق والتضييق عليهم وتقييد حريتهم، ومراقبة الناشطين والشخصيات الفاعلة والمؤثرة في الوسط السني، وعزل الأحياء السنية (في جانب الكرخ) عن محيط العاصمة السني، حينها يلجأ السني المقيم في العاصمة إلى أحد أمرين:

- الهرب والفرار إلى مكان بعيد عن التقييد والتهديد والقلق المستمر.
- الاستسلام واليأس وتجنب المتاعب، الأمر الذي يزيد من تمكين الشيعة ولا ينجيه في نهاية المطاف من بطشهم.

رابعاً: فرض الثقافة الشيعية

لابد للقوي المنتصر أن يفرض ثقافته وأفكاره ومبادءه إن لم يكن بالإكراه - كما فعل الشاه إسماعيل الصفوي في إيران - فبالتقادم وطول الأمد وغياب التحصين العلمي والتوعية الثقافية المضادة للتيار الفكري الرسمي.

والأجواء العامة في بغداد اليوم أصبحت شيعية بحتة، فصور الأئمة والزعماء الشيعة تنتشر في كل مكان، والرايات الملونة والأعلام السوداء ترتفع فوق كثير من الأبنية، بل إن المظاهر الطائفية تنتشر في الشوارع والساحات والجامعات والوزارات والمؤسسات العامة.

وتظهر قوة التشيع في أيام المناسبات الشيعية، لتنقلب العاصمة إلى مدينة كربلائية في مظهرها العام وكافة

تفاصيل الحياة فيها.

والسني في بغداد مهما كرهَت نفسه هذه التصرفات والسلوكيات المنافية للفطرة الإنسانية والشريعة الإسلامية إلا أنه سيعتاد عليها بمرور الوقت، ويصبح المنكر سابقاً عادة مألوفة وحدثاً ترتفع عنه صفة النكارة والقبح والرفض النفسي له.

أما بعض العوام السنة ومن لم يعرف حقيقة هذه الطقوس والشعائر التعبدية فقد يتابع الشيعة ويقلدهم (جهلاً أو خوفاً) فمنهم من يصنع الطعام ويوزعه يوم عاشوراء، ومنهم من يضع راية سوداء فوق منزله، ومنهم من يلبس السواد في تلك الأيام، ومنهم من يذهب لزيارة ضريح موسى الكاظم لا سيما إن كان يسكن حياً مختلطاً يغلب عليه الشيعة أو يعمل في دائرة حكومية يسيطر عليها الشيعة.

وحكومة المالكي تخصص مبالغ طائلة لإحياء هذه المناسبات، حتى تستعرض قوتها المذهبية في العاصمة، فترهب المعارضين والناقمين وتستميل الجاهلين والمستضعفين.

حتى لا ننسى الذكرى السابعة لنكبة بغداد (٢٠٠٦/٦/٢٢)

سليمان نزار(*) - خاص بالراصد

يحفل تاريخ بغداد بكثير من الأيام السوداء والسنوات العصيبة، فقد شهدت عاصمة العباسيين: تسلط البويهيين الديلم (٣٣٤هـ) وفتنة البساسيري (٤٥١هـ) واجتياح المغول (٦٥٦هـ) وغارة تيمورلنك (٨٠٣هـ)، وحملات الصفويين (١٥٠٨ - ١٦٤٨م)، واحتلال الإنكليز (١٩١٧م) وغزو الأمريكان (٢٠٠٣م).

لكن يوم (٢٠٠٦/٢/٢٢م) شهد نكبة تختلف عن مثيلاتها السابقة، ومصيبة لا تشبه باقي مصائب الأمة، ففي ذلك اليوم خرجت بغداد من حوزة الإسلام والعروبة إلى التشيع والملة الوثنية الشعوبية؛ **في ذلك اليوم شن الشيعة غارتهم على مساجد بغداد انتقاماً لتفجير مرقدهم في سامراء، والذي أصبح ذريعة لتبرير حربهم المعدّة مسبقاً ضد الوجود السني في بغداد ومحيطها.**

لم يكتف الشيعة بتهديم المساجد وإغلاقها بل اتخذوا بعضها مراكز لتعذيب السنة وتكديس جثثهم، كما حصل في بعض مساجد المحمودية والإسكندرية (جنوب بغداد)، ومسجد أديب الجميلي في منطقة الشرطة الخامسة (غرب بغداد).

كما أن بعض المساجد تحولت إلى حسينيات (كمسجد الحسن بن علي في شارع فلسطين شرق بغداد، ومسجد الفرقان في السيدية غرب بغداد)، وبعضها تحوّل إلى مساكن لعوائل شيعية مهجرة (كمسجد الإسراء والمعراج في حي الأمين شرق بغداد)!

استمرت الحرب قرابة عامين (٢٠٠٦- ٢٠٠٧) تمكن الشيعة فيهما من فرض إرادتهم الدينية والسياسية والعسكرية على بغداد وتحويلها إلى «مدينة شيعية» بعد قتل وتهجير الآلاف من أبناء السنة وفقاً لتقارير ووثائق عراقية وعربية ودولية.

لم يأت على بغداد في تاريخها المعاصر أشد مما وقع خلال هاتين السنتين، ومع ذلك لم يسلّط الضوء على هذا الحدث العصيب؛ بل هيمن التزييف والتحريف في حكاية ونقل أخبار تلك المحنة، فأُطلق على تلك الفترة مسمى (الحرب الأهلية والصراع الطائفي) ليُحجب عن الرأي العام العربي والعالمي حقيقة الحرب الدينية ضد العرب السنة.

تمكن الشيعة من حكم بغداد بعد دخول الأمريكان في نيسان/ أبريل ٢٠٠٣، لكنهم أرادوا أن يعلنوا سيطرتهم الدينية وظهور مذهبهم على العاصمة الذي ظلت حصينة منيعة على أسلافهم الإيرانيين، فكان انطلاقة هذا الإعلان من الحرب على المساجد وأهلها، واتخاذ الحُسينيات كمحاكم شرعية تدير عمليات تطهير العاصمة من أتباع أبي بكر وعمر وبني أمية!

منذ ذلك التاريخ أصبحت «بغداد الرشيد والحنابلة» مدينة شيعية، لا سلطة فيها فوق سلطة

(*) من كُتّاب الحراك الشعبي السني في العراق.

الميليشيات المذهبية، فلم تكتف الحكومة بالأجهزة الأمنية التي تشكلت من عناصر مليشيات الأحزاب، فبغداد اليوم تحفل بكثير من مكاتب الميليشيات (عصائب أهل الحق) وبعضها يقيم مؤتمرات وندوات واحتفالات واستعراضات عسكرية (كتائب حزب الله في العراق).

وليس من الصعب في «بغداد الشيعية» أن تعلن عن تأسيس مليشيا دينية تتصدى للحراك السني تطلق على نفسها (جيش المختار) .

أما «جيش الإمام المهدي» فقد أدى ما عليه ونجح في تحويل بغداد إلى عاصمة للمذهب، وهو اليوم في موقع الإدارة والقيادة من خلال البرلمان والحكومة والمؤسسات التابعة له.

ولا ينبغي أن نغفل عن البنية الأساسية التي تكون منها جيش المهدي، فهو مليشيا شعبية قبل أن يكون مليشيا عقائدية مدربة ومنظمة، فزعماء التيار الصدري بإمكانهم حشد الآلاف من أتباعهم لتجنيدهم في أي لحظة قد يداهم الخطر فيها مستقبل المذهب في بغداد.

يضاف إلى ذلك أن هذه المليشيا لم تعد محلية يقتصر نشاطها على العراق، بل إنها اليوم تقاتل في سوريا حماية للحكم الشيعي العلوي أسوة بحزب الله اللبناني وكتائب الحرس الثوري الإيراني.

تداعيات نكبة بغداد

لقد ظن العرب (خارج العراق) والأكراد أن سيطرة الشيعة على بغداد لن يكون لها تداعيات كبيرة، وحسبوا أن عمليات التطهير الديني كانت محض رغبة شيعية بالحكم والانتقام من خصومهم السنة أو الدفاع عن وجودهم ضد تنظيم القاعدة (كما يردد بعض المغفلين والمأجورين)، لكن الأمر على خلاف ذلك تماماً، فهذا الإنجاز الشيعي كان إعلانا للهيمنة الشيعية على المنطقة، لذلك وجدنا شيعة الخليج يستأسدون وفي نفس الوقت فإن حكام الخليج يتملقون لإيران ويسعون لاسترضاء أقلياتهم الشيعية!

أما أكراد العراق فلم يتوقع أحد أن يصبح زعيمهم مسعود برزاني في طليعة المعارضين والمهاجمين لسياسة رئيس الوزراء نوري المالكي الدكتاتورية؛ لأن «بغداد الشيعية» أصبحت تطمح بالمزيد ولم تكتف بما أخذته من أبناء العرب السنة فشكلت «قوات دجلة» لفرض سلطة الشيعة في كركوك.

وقبل ذلك امتدت أطماع الشيعة إلى سامراء، ووضعوا أيديهم على مرقدها وتملكوا ما حوله من عقارات وأبنية ثم عملوا على اقتطاع هذه المدينة من محافظة صلاح الدين السنية وإعلانها «محافظة مقدسة»!

احترقت بغداد بنار التشيع وارتفعت على بقايا مساجدها رايات الجعفرية والمهدوية والخمينية، والعرب متغافلون يلوذون من إيران وأطماعها بدعاوى التهدئة الطائفية والوحدة الإسلامية ومقاومة الصهيونية! لكن أطماع التشيع لن تتوقف لتملق العرب بل وجدت في خنوعهم ونفاقهم وسعيهم لاسترضائها رغبة في المزيد، فكانت نكبة الشام المستمرة منذ عامين (من آذار/ مارس ٢٠١١ وحتى يومنا).

إن الحرائق المشتعلة في سوريا منذ عامين أثبتت أن العرب السنة لا يمكنهم التمتع بعيش مستقر في ظل هيمنة الشيعة فقد طُردوا من بغداد، وأُخرجوا من حمص وأحيلت مساكنها إلى ركام، وشُردوا من حلب ودمشق لتبقى المدينتان بانتظار الهدم التدريجي والدمار الكبير.

بغداد اليوم ...سجن للسنة وحسينية للشيعة

إذا أردنا الحديث عن بغداد بعد مرور أعوام على سقوطها بيد الشيعة، فنحن نتحدث عن أضخم معتقل لأبناء العرب السنة، ولا نقصد بذلك الآلاف المكدسين في المعتقلات الرسمية والسرية، وإنما عن أحياء بغداد السنية المطوقة والمغلقة، وعن بقايا العرب السنة الذين يحارَبون في رزقهم وأمنهم وحريتهم الدينية بسبب قوانين الإقصاء ومليشيات دولة القانون (لواء ٥٤، لواء ٥٦، قوات سوات، لواء المثنى) وغيرها.

أما الشيعة فهم ينعمون بمدينة قد تحولت إلى نسخة أخرى من كربلاء لاسيما في أيام المناسبات الدينية (كعاشوراء ومقتل الكاظم والغدير وفرحة الزهراء والأربعينية وميلاد المهدي).

لم يعرف الاستقرار طريقه إلى بغداد منذ أن خرجت من حُكم العرب السنة، ولن ينعم أبناء هذه المدينة بأمن وراحة بنيت على أشلاء مُزقت ومساجد هُدمت وجموع

أُفنيت وقدمت قرباناً لمرقد العسكريين في سامراء!

سيبقى الصراع على بغداد مستمراً ، فقد نهض أبناء العرب السنة في المحافظات الغربية والشمالية مطالبين بحقهم الذي لا ينالونه إلا بعودة بغداد إلى سابق عهدها ، وهو صراع طويل لأنه صراع بين الوثنية القبورية والحنيفية الإبراهيمية ، وهو صراع أزلي لكنه في النهاية محسوم بإذن الله تعالى لصالح أتباع الرسل وأنصار منهجهم الرباني.

الحراك السُني.. ثمرة العقد الأول من محنة العراق

صباح العجاج[*]

مقدمات واقعية وشرعية:

يعيشُ العراق عامة، وأهل السنة خاصة، أياماً عصيبة وحرجة، تتحدد بها ملامح مستقبل هذا البلد الذي أبتلي منذ سنة ٢٠٠٣ باحتلال أمريكي أفضى بالبلاد إلى تسلّط إيراني، وقبل الشروع في الكلام لابد من بيان قاعدة شرعية مهمة وهي: (أنّ تسلط الأعداء على بلاد الإسلام لا يكون إلا إذا كان أهل الدين في دينهم فساد، وأهل الدنيا من الحكام عندهم ظلم وفجور) حتى صدق القول فينا (إنّ الطغاة كانوا دائماً جسر الغزاة). وقديما قال ابن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

لم يكن احتلال العراق هو البداية بل هو النتيجة الحتمية لمجموعة من المقدمات؛ من أهمها حرب الخليج الثانية (دخول العراق الكويت سنة ١٩٩٠م)، التي أوقعت العالم الإسلامي في اضطراب واختلال، وتعرّض العراق لفوضى وحصار أوهنه ومهّد الشعوب العربية للقبول بوضع جديد للمنطقة، في حين كان الغرب وتحت شعار إنقاذ الشعوب والأقليات ومحاربة الإرهاب من جانب، وكانت إسرائيل وتربصها بالعراق وتحينها الفرص للانقضاض عليه حتى تتخلص من كابوس السبي البابلي من جانب آخر، متعاونة مع الشيعة (مؤسسات وأحزاب) وإيران[1] من جهة ثالثة، لينتهي الأمر بسقوط العراق، على يد أجنحة المكر الثلاث، وتجتمع الأمم على القصعة الإسلامية كما اجتمعت على فلسطين بالأمس، وجاء اليوم دور العراق وأفغانستان في العالم الإسلامي، ولكنه اليوم يتزامن مع صعود وسطوع نجم إيران والشيعة من جديد[2]. وشاركهم وسهل لهم الفعل غفلة العرب والمسلمين حيناً والتآمر أحيانا على العراق من قبل بعض الحكام.

وأمة العرب والإسلام في غفلة عمّا يحاك لها، ولسان حالها اليوم يردد المثل العربي **(أكلت يوم أكل الثور الأسود).**

عشر سنوات مرّت بالعراق وبها انقضى الاحتلال وغادر البلاد، مسلّماً مقاليد البلاد ورقاب العباد إلى يد لا ترحم؛ قوى شيعية دينية مهدت لإيران كي تتسلط وتدخل في أغلب مفاصله، ومن ثم يتولى فيها حاكم شيعي مُستبد حتى على أبناء جلدته، يملك زمام الأمور لوحده ولحزبه (حزب الدعوة)، وكانت أهم نتائج هذه المرحلة هي ظهور معالم خطة ممنهجة لإقصاء السُنة من كل ميادين الحياة، وخلق احتمالات ثلاثة لهم:

- إما الخروج من البلاد ؛ بتهجير من منطقة إلى منطقة، أو مغادرة العراق بالكلية.
- أو القتل والذبح والسجن التعذيب والاغتصاب. ليشبعوا غرائز نفوسهم المريضة المتعطشة للثأر والانتقام، وليشردوا بهؤلاء من خلفهم.
- أو التحول عن الدين بترك السنة إلى ربقة التشيع، أو بقائهم في العراق عبيداً أذلاء وخدما للشيعة.

---

(١) التحالفات الغربية والشيعية مع أعداء الأمة تاريخيا قديمة.

(٢) ظهر نجم الشيعة في التاريخ مرتين وهذه الثالثة:

أما الأولى: فبعد ذهاب القرون الثلاثة المفضلة، فسقطت الدولة العباسية وبلاد إيران(السنية) بيد البويهيين (وهم شيعة زيدية جارودية)، والمغرب العربي بيد الفاطميين (العبيديين)، وشمال الشام بيد الدولة الحمدانية الشيعية، وظهر القرامطة في الجزيرة العربية.

وأما الثانية: فكانت بظهور الدولة الصفوية وتوسعها وتحول إيران إلى دولة شيعية في مطلع القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي).

والثالثة: في أيامنا هذه

(*) كاتب عراقي.

وفعلهم هذا من جنس فعل الكفار برسول الله ﷺ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال:٣٠].

وكان الهدف الأول والأغلى للشيعة هو مدينة بغداد وما حولها من البلاد، ثم تلتها خطط التشيع والتقسيم في محافظات سنية: نينوى وديالى وصلاح الدين والأنبار وكركوك.

وكل ذلك حصل، وعقلاء البلاد من السُنة وغيرهم حيارى في إيجاد مخرج مما هم فيه، مخرج للعراق مما دهاه من البلايا والرزايا؛ فمرّة يفكّرون بالمحتل كيف يخرجوه؛ لأنه أُس المصائب في العراق وأساسها، وصدقوا لكنهم تناسوا أن في العراق قوى متكالبة مشتركة ومختلفة، وتم ذلك لأهل السنة فدفعوا المحتل الغاشم وأخرجوه من العراق. لكن الثمار كانت لغيرهم، بل لعدو العراق التقليدي إيران وذراعه الأحزاب الشيعية، ولا أريد الزعم بأن العراقيين ترحموا على المحتل عندما شاهدوا ممارسات وأفعال إيران ومن شايعها من الشيعة، لكن هذه الحقيقة أصبحت من مسلّمات أهل العراق.

ثم توالى البحث عن حلول من قبل أهل السُنّة للخروج من المأزق الجديد المتمثل بسيطرة القوى الشيعية وإيران؛ فكان أحد الحلول تشكيل القائمة العراقية (الوطنية) سنة ٢٠١٠م لتحظى بأعلى الأصوات في الانتخابات (٩١ صوتا)، لكن الأمور بقيت كما هي، ولم تتسلم هذه القائمة الحكم بفضل التعاون الأمريكي الإيراني.

يئس أهل السُنة والشرفاء من أهل العراق بالخروج مما حل بالبلاد، حاكم شيعي (نوري المالكي) يمسك بزمام كل القرارات في البلاد بيد من حديد، وعمليات تغيير ديمغرافي وفكري وثقافي، وإفقار لأهل السنة، وأصبح السنة كالأيتام على موائد اللئام، عرضة للاضطهاد والقتل والتشريد والسجن للرجال والنساء، فإذا كان لفرعون ذرة حياء فيقتل الرجال ويستحيي النساء، فإن هؤلاء الشيعة سقطت منهم كل ذلك، فسجنوا النساء واغتصبوهنَّ وحملنَ في السجون لا شهوة بل إمعانا في إذلال أهل السُنة. وظهرت عند أهل السنة – كما هو متوقع- ظاهرة جديدة؛ وهي التملق والنفاق والتقية للشيعة، وهذا أول الذوبان ونسيان الدين والهوية. وبمثل هذا السلوك تحولت إيران من سنية إلى شيعية قبل خمسة قرون، أي بعد احتلال الصفويين لها). ودب اليأس في نفوس أهل السنة؛ ولا أثر للضوء في آخر النفق.

لا أريد أن أصف الحال بما لا يراه بعض أهل السنة؛ لأن بعضهم رأى أموالا كثيرة، وفساداً مالياً غير مسبوق، كما وجدوا شيئا من السعة في الرزق والمناصب بعد طول حصار وفقر (١٩٩٠- ٢٠٠٣)، وليست العبرة الشرعية بأمثال هؤلاء- وما أكثرهم- فإنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا، لكن النظرة الشرعية لمستقبل العراق المسلم السني، ودار الخلافة العباسية لخمسة قرون غير ما يرجو السفهاء من بعض أبنائه؛ إن فساد دين (السنة) أهل العراق؛ إما بتركهم الالتزام الديني أو التحول إلى التشيع هو في عرف الشرع أكبر من فساد المحتل؛ لأن الله تعالى يقرر أن ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۝١٩١﴾ [التوبة: ١٩١] وصرف الناس عن دينهم أعظم الفتن؛ وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٢٣٢/٢٨): (.. **ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء (أعداء الإسلام من الغرب) إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك (أهل التشيع وإيران) فهم يفسدون القلوب ابتداء**).

إن العدو الأمريكي جاء يريد دنيا أهل العراق ونفطه وأموالهم وثرواتهم، بينما يريد التشيّع وإيران دين أهل السُنة بأن يدمّروه ويغيروه، ولا قيمة للعراق بغير أهل السُنة، كما لا قيمة لإيران في العالم الإسلامي بعد أن أصبحت شيعية؛ بل إن العراق غدا وهو بيد الشيعة معول هدم لبقية الدول الإسلامية، ومصدر مال لإيران تغطي به حصارها وتستعمله القوى الشيعية لمحاربة بقية الدول العربية السنية. وفقدت الأمة بوابتها الشرقية.

لا بد للناس من مُتنفسات:

كلمة قالها الحسن البصري عندما يئس أهل العراق من التخلص من ظلم الحجاج وبطشه[1]، فالله سبحانه

(١) مؤسف أن ترى بعض أهل السنة - وكردة فعل من التشيع- =

قضى أنه يُنفِّسَ عن عباده وقتاً مَّا ويكشفُ البلاءَ عنهم حيناً، وإن كانوا غير مستحقين لذلك؛ لأن رحمته سبقت غضبه، وجاء الضوء من آخر النفق، وظهر الربيع العربي كبارقة أمل جديدة لأهل السُنة، طريق جديد يسقط الطغاة من حكّام بلدان أهل السُنة فسقط الطغاة واحدا تلو الآخر: بن علي في تونس، ثم حسني مبارك بمصر، ثم الجبار المعتوه القذافي، وثعلب اليمن الفاسد علي عبد الله صالح، وكان المراقبون يرتقبون كرة الثلج للربيع أن تمتد فتكبر لكنهم لم يراهنوا أن يكون ربيعا بالعراق؛ لأن الشعوب المتجانسة تثور على أهل الظلم، لكن في العراق سنة (أكرادا وعربا) وشيعة عربا وقليلا من أكراد وتركمان، والشيعة يرضون بالمذهب وإن تعرضوا للظلم، هكذا يقول واقع حالهم، والأكراد لا زالوا في سكرة ونشوة القومية الكردية (كما انتشى العرب بتلك السكرة بعد ذهاب الخلافة العثمانية ردحاً من الزمن).

وتغيّرت المعادلة بظهور ربيع عربي في سوريا، فكانت هذه أول بركة أهل الشام على الإسلام بعامة وعلى أهل العراق بخاصة، ففي وضع أهل الشام شبه بظرف العراق، فحاكِمهم نصيري غاشم استأثر بأرض الشام أكثر من ٤٠ سنة هو وأبوه، وطائفته الشيعية النصيرية، والتي كونت مع إيران وشيعة لبنان لوبيا في المنطقة في غفلة من العرب (وما أكثر غفلات العرب)، حتى غدت أرض الشام سليبة لإيران بل بلدا يهدد الأمن القومي العربي والإسلامي، فطائفة النصيرية (العلوية) سرقت البلاد، سرقت بلاد المسلمين السُنة، فكانت هذه الثورة المباركة هي المحرك الأول لسُنة العراق فقام حراكهم منذ أكثر من ٨٠ يوماً، وذلك في محافظاتهم الست.

التحركات السنية بعد ظهور الثورة السورية وقبيل الحراك:

تحرك أهل الدين والغيارى من أهل العراق فرادى ومجتمعين بعد فشل القائمة العراقية من تحقيق شيء لأهل السنة، وفشلها تتحمله هي؛ بسبب انقسامها وتشتتها وظهور شخصيات وكيانات قامت على أساس تحصيل المناصب والمكاسب المالية، وبسببٍ آخر خارج عن إرادتها وهو تزاوج المصالح الأمريكية مع الإيرانية لتلد لنا حكومة المالكي وبتعاون الكرد (السنة) مع الشيعة.

كان هذا الوضع البائس نذيرا لأهل السنة؛ لأن حكومة المالكي الشيعية شرعت تؤسس وتثبت أوتادها بقوة اقتصادية هائلة فميزانية العراق لسنة ٢٠١٠ بلغت أكثر من ٨٠ مليار دولار، وفي سنة ٢٠١١ كانت ١٠٠ مليار، وفي سنة ٢٠١٢ بلغت ١١٨ مليار دولار، بينما افتقد العراق لكل مقومات الحياة الحضارية، وذهبت أمواله ما بين الفساد المالي، وبين دعم نظام بشار الأسد، وقبل ذلك دعما لإيران وفكاً لأزمتها الاقتصادية، والعراق الشيعي يؤسس اليوم لجيش من الميليشيات الشيعية، ويؤسس فكريا فالبعثات الدراسية هي للشيعة، وتُنشأ المدارس الشيعية والجامعات والمنتديات الثقافية، حتى غدت للأحزاب الشيعية مراكز في مدن أهل السنة كالأنبار، وشرع السنة يمارسون التقية لاسيما في العاصمة بغداد وبعض المدن المختلطة، وبعضهم نافق حتى يكون مكوناً سنياً داعما للمالكي، إما تزلفا للشيعة على لعاعة من الدنيا، أو هم شخصيات قلقة في الأصل ليس لها صلة لا في دينها ولا عروبتها.

في هذه الأجواء لا بد للقلوب والضمائر الحية والسليمة سواء من أهل الدين أو سواهم أن يُعملوا التفكير في إنقاذ البلاد والعباد والدين والقيم والمبادئ؛ فكانت هناك اجتماعات للمقاومة العراقية السنية بمختلف فصائلها للخروج من هذا المأزق وطرحت عدة مشاريع منها كان المواجهة العسكرية للحكومة العراقية الشيعية، ولكن كان هناك من يقدم رجلا ويؤخر أخرى، فلا غطاء شعبيا ولا دوليا يعطي شرعية لمثل هذه الأعمال ولا يمكن أن يفهم أحد من العالم كي يشرّع قتل فرد عراقي آخر مثله، لأسباب من الصعب أن تبرر، فالحاكمون للعراق هم عراقيون من جلدتنا، وإن أفسدوا في البلاد.

وتحرك فصيل آخر من السُنة لتجميع السنة فقط دون

يدافعون عن الحجاج، صحيح أن هناك أمورا عديدة افتريت عليه، لكن أهل السنة أهل علم وعدل، يعتقدون أن الحجاج مبير مسرف في الدماء كما وصفه الرسول ﷺ (**يخرج من ثقيف كذاب ومبير)** فكان المختار الثقفي هو الكذاب، والحجاج هو المبير كما ذكرت ذلك أسماء بنت أبي بكر الصديق.

الآخرين، وحصل خلاف هل يدخل الأكراد أم بالسنة العرب لتكوين مرجعية سنية، واختلفوا هل المرجعية السنية دينية أم سياسية، وترجح أن المرجعية سياسية، ولكن لابد من مرجعية دينية كذلك.

رفض بعض أهل العراق فكرة التجمع السني إذ الشعب العراقي - لاسيما السنة- لا زال قسم كبير منه يعيش بتربية قومية وطنية عاشها لأكثر من قرن من الزمان، ترسخت في كياناتهم وجذورهم وطال عليها الأمد، وهم يفسرون التغول الشيعي على أنه تغول قومي إيراني (وهم صادقون في جانب).

بينما ظهرت أصوات مسموعة لطلب فيدرالية المناطق والمحافظات السنية أسوة بإقليم كردستان، ورفضها آخرون وخونوا من يقول بها.

وبين هذا وذاك كان قليل من السنة من التيار الديني المتطرف قد سُحب عالميا للعمل لصالح إيران وهو تيار القاعدة، الذي يفجر ويقتل وفق رؤية إيرانية تصب لصالح تنظيم القاعدة العالمي.

ودخل أكثر أهل السنة في العملية السياسية لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ورفض القليل منهم هذا الدخول مثل هيئة علماء المسلمين، ورفض حزب البعث الدخول ظاهرا وشارك واقعا.

أما السياسيون السنة فأكثر تصرفاتهم غير متزنة وتصب لمصالح ذاتية، وقلة قليلة هم الشرفاء، ومع كل ذلك فقد كان مخطط المالكي وإيران بتصفيتهم واحداً واحداً ؛ بدءاً من طارق الهاشمي نائب رئيس الجمهورية الذي اتهم بالإرهاب وحُكم عليه بالإعدام وفرَّ خارج البلاد، ثم توالت التهم على أكثر من شخصية، لكن حدثا ما وبقدر الله وقع، كانت الدومينو الشيعية تسير بالتدريج نحو الشخصيات السنية، وكان الدور على وزير المالية السني الدكتور رافع العيساوي، ولكن أمورا حدثت وانطلق الحراك السني قبل أكثر من شهرين من تاريخ كتابة هذه السطور.

الحراك السُني:

كما كانت أحداث أطفال درعا هي المحرك الأساسي للثورة السورية المباركة والتي خلخلت أوجه المنطقة، وكانت أكبر موقف يظهر يقف بوجه التمدد الشيعي وكسراً لهلاله، ولكن شأن الله أعظم وأمره غالب، وليقضي الله أمراً كان مفعولا، واليوم أحداث الحراك السني من هذا الجنس بدأت بأحداث بسيطة تتكرر على أهل السنة ولكن شاء الله أن تحركهم أحداث معينة وتكبر، ولا أريد أن أتكلم على الحراك ولكن عن موقف أهل السنة بكل أطيافهم والواجب الشرعي المفروض عليهم في هذه المرحلة.

كان أهل السنة في العراق منقسمين منذ أن ظهر الاحتلال على عدة أمور، ومن أسباب الانقسام عدم وجود أهل حل وعقد ووجهاء يرجع لهم؛ لأن عصر الدكتاتورية السابق دكتاتورية حزب البعث وصدام، أقصت كثيرا من الفضلاء عن الظهور خوفا من قصم الظهور وإبادتهم، لذلك كانوا في شتات وضياع بعد الاحتلال.

كثر التناحر والاختلاف عند كل الفصائل الدينية والدنيوية، وولّد هذا الحال تفرق الكلمة وذهاب الريح، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦] وحصل ما قرره المولى سبحانه فذهبت الريح وحصل الفشل لأهل السنة، واليوم حصل في الحراك نوع من الانسجام والتآلف بين أهل السنة، اجتماع نتيجة توحد المعاناة والمصائب وفي ذلك يقول الشاعر:

إنّ المصائبَ يجمعْنَ المُصابينا.

فحصل توحّد حول مصيبة وكان هذا من جنس قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾ [الأنفال: ٦٣] وقوله: ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا ٤٢﴾ [الأنفال: ٤٢].

رؤية شرعية للحراك:

الحراك السني قدر من الله توافق عليه كل أهل السنة باختلاف مشاربهم إلا من شذ منهم، وهذا تجمّع قدري ما كان له أن يكون لولا أقدار الله ولطفه ورحمته بعباده، وعسى أن يكون هذا من جنس قوله

تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف: ١١٠] ومن أسباب النصر ونجاح الحراك التوحد في الأهداف وتناسي المشاكل والاختلافات السابقة، وأن التوحد على رأي مرجوح خير من الاختلاف على رأي راجح، وهذه هي الشورى، فقد كان النبي يرى يوم أحد أن يقاتل المشركين وهم متحصنون في المدينة بينما رأى الشباب الخروج، ورغم مرجوحية الرأي لكن الرسول ﷺ **قالها بوضوح: «لاَ يَنْبَغِي لِنَبِي يَلْبَسُ لأْمَتَهُ فَيَضَعُهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ»**[1].

- ومطلوب من القنوات الفضائية المدافعة عن شؤون السنة في العراق وغيره مثل صفا ووصال وغيرهما من القنوات الفاضلة أن تفهم المطالب الحقيقية للسنة في العراق، وتعتمد عن أخبار من داخل العراق ومن في الحراك وتفهم الواقع العراقي عن كثب؛ ولا تحصر علاقاتها على شخصيات ليس لها كبير صلة بالواقع العراقي، ولا معرفة بالحل الشرعي للواقع العراقي.
- في الحراك كان هناك توضيح لمظلومية أهل السنة وإقصاء مكون كبير في العراق، ولكن ليس فيه توجيه التهم لكل الشيعة ولا مراجعهم بل للحكومة الشيعية وإيران وهذه حكمة تجمع أهل السنة وتوصيف الأمر بحقيقته، ومآل الأمر واحد وصدق الشاعر حين يقول :

تقول: هذا مجاج النحل، تمدحه
وإن ذممـــــت فقل: قيء الزنابير
مدحا وذما، وما جاوزت وصفهما
حسن البيان يري الظلماء كالنور

- الطروحات المطالب بها في الحراك واقعية تعبر عن مظالم مشتركة إنسانية لجميع العراقيين؛ منها الاجتثاث، وفك الأسرى من النساء والرجال، وعدم تهميش جزء من الشعب العراقي وهي مطالب عالميا مقبولة تُحرج الحكومة وإيران وأمريكا، وهكذا هي المطالب الصحيحة ينبغي أن تركز على شؤون إنسانية كي تلقى قبولا دوليا؛ لأن مطالب السنة كسنة لا تلقى بالا من الغرب، فالغرب يسمُ أهل السنة بأنهم يقصون الأقليات غير السنية، وأنهم نازية في مواقفهم من الشيعة والأقليات؛ لذلك كان لا بد من طرح مقبول لدى عقول نخبهم يتوافق مع تحرك الربيع العربي في بقية البلدان؛ من ثورة على الظلم والإقصاء والدكتاتورية وتدويل الحراك السني أو قل الربيع العراقي دولياً كي يكون كالثورة السورية وينتقل من طور الحراك إلى الانتفاضة ثم الثورة، لكن بتدرج مقبول ومعقول.
- ظهور أصوات كانت نائمة لسنين، أو أصوات كانت غير مسموعة وأصبحت تتسيد الساحة العراقية مثل الشيخ الدكتور عبد الملك السعدي أو مفتي العراق الدكتور رافع الرافعي، وبروز هيئة علماء المسلمين بعد ضمور، ورغم كل ذلك فإن الواجب على عاتقنا أن لا يجعلنا نكرر كلمات الملامة وإعادة مواقف لهؤلاء ضد الإسلاميين في عصر صدام حسين. فظهور أي صوت يوحّد ويجمع أهل السنة أمر مطلوب في هذا الوقت وهو **واجب الوقت**. كما قيل:

لا يصلح الناس فوْضَى لا سرَاة لهم.

- كما أن بروز بعض الأصوات لحزب البعث قد يكون مزعجاً للكثير من الإسلاميين وغيرهم لأسباب شتى، لكن ليس هذا وقت النظر والالتفات إلى الماضي ونبشه وخلق صراعات جديدة، فالعراق مريض في قسم طوارئ بحاجة لإسعاف، وليس المهم معرفة هوية الطبيب ولا أهدافه، فإسعاف المريض وتعافيه هو الأصل الشرعي وفي مثل هذا جاء الحديث المتفق عليه: **(إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ)** وأهل السنة هم من أصّل فكرة **أن الحاجة في أيام الضعف للقوي الفاجر مع وجود التقي الضعيف أرجح بل قل أوجب**، وأهل العراق بحاجة للقوي وإن كان فاجراً.
- يحاول بعض أهل السنة سحب بعض الشيعة للحراك وهو أمر جيد إنْ حصل، فمطلوب سحب التيار الوطني الشيعي (على قلّته) ضد إيران ودكتاتورية المالكي، لأن إبراز هؤلاء كممثلين للشيعة في المستقبل

---

(١) رواه أحمد (٣/٣٥١) بسند صحيح وبوّب له البخاري في صحيحه: باب قوله تعالى ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ٣٨﴾ [الشورى: ٣٨].

هو خير من بقاء التيار الديني الشيعي، وكذا الخط العروبي الشيعي الذي ضاع صوته وخفت، بحاجة لإبراز مرة أخرى .

وأرجو أن لا تهمل هذه التوجهات، وإن هناك أصواتا نشازا بين أهل السنة لا تعرف مصالح البلاد والعباد، تريد مرادات خيالية غير واقعية؛ تريد وتحلم بإقصاء الشيعة من البلاد ومن بغداد، والشيعة اليوم قرابة نصف سكان العراق أو أقل بقليل، ونصف سكان بغداد إن لم يزيدوا (نتيجة هجرة أهل السنة)، ولا يسمح لهذه الأصوات - التي لا تعي مصالح أهل السنة أن تبرز- لأنها تعكر صفو المشروع المنقذ للعراق وخذوا على يد سفهائكم يا أهل السنة كما قال المولى عزوجل ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴿٥﴾﴾ [النساء: ٥] والأوطان أثمن من الأموال.

- بروز التيار العلمائي الصوفي على رأس أهل الدين اليوم أمر واضح ولا بد من قبوله؛ بالرغم من تأخر كلامه لأكثر من عشر سنين من الاحتلال، وقد ظهرت التيارات السلفية للمقاومة وقدمت الكثير، وتقدم الإخوان للسياسة وفعلوا الكثير، وكلاهما فعل واجتهد ووقع في أخطاء بل قل خطايا، إلا أن الشعب العراقي لا ينسى أن كبار أهل الدين فيه هو لهذا التيار، رغم قلة جماهيره ورغم تزلفه للحكومات السابقة ووقوفه ضد أهل الدين من إخوان وسلفية، لكن في جمع هؤلاء ضد التيار الشيعي الديني وإيران مكسب عام لأهل السنة أكثر من خسارة حركات الإصلاح في العراق، إن كان هناك خسارة أصلا.

- يريد بعض أهل العراق السنة كهيئة علماء المسلمين وبعض البعثيين وغيرهم أن يعيدوا العراق للمعادلة الصفرية ويلغوا كل شيء، من ذلك إلغاء الدستور ورحيل حكومات الاحتلال، وهذا مطلوب جميل في الحقيقة لكنه خيالي ولا وجود له في الواقع، ولكنه يصلح كشرط للمفاوضة بتصعيد سقف المطالب، كي ينال أهل السنة أكبر قسط من مطالبهم. وإن إسقاط المالكي مطلب مهم لأهل السنة ويمكن إقناع بعض الشيعة به، وهو وإن كان مطلبا جزئيا، إلا أن التخلص من هيمنة شخص شيعي آيدلوجي يمسك بزمام الجيش والأمن العراقي والقضاء مكسب مهم، ولكن ليس هو المكسب الأخير.

- السياسيون من القائمة العراقية، لهم مثالب كثيرة وعليهم الكثير، وعلينا أن لا نسمح لهم في جر الحراك لمآربهم، ولكن في ذات الوقت لا يهمل دورهم؛ ولا يطرحون بالكلية كما يرمي بعض أهل الحراك، بل يستفاد منهم مع مراقبة شديدة وشأنهم شأن الحزب الإسلامي وحزب البعث وأتباع الهيئة، وبعض المقاومة، فكل هؤلاء له رغبة التغلب، وهي شأن الجميع وإن أظهروا خلافها ونزعة التنافس على الصدارة ليس هذا أوانها. وعلى الجميع أن يتنازل بالقدر الذي يساعد على الكمال في المجموع لأن الكمال في الآحاد متعذر. والسياسة الشرعية تنظر للمصالح الكلية وتنظر في الضرورات أكثر من الحاجيات والتحسينات، والعراق في حالة الضرورة.

- على المقاومة أن تعي أن دورها لم ينتهِ، وأن دورها ليس في التحول للسياسة لأنه لا نجاح للمقاومة بذلك، والاستفادة من أفكار ضباط الجيش السابق أمر مطلوب بعد فترة من الزهد بهم؛ لأن شباب المقاومة الإسلامية مندفع ذاتيا، وقد أهمل قدرات وطاقات الجيش السابق وهم طاقات وظيفية قوية، وأن تشكيل جيش المختار الشيعي (على يد واثق البطاط) ودخول قوات الباسيج الإيرانية بوفرة للعراق، تعطي نذرا أن حربا قادمة تظهر في الأفق، ولا بد من قوة سنية ضاربة تمنع إيران والحكومة العراقية من استعمال القوة، وترد عليها بحزم وتجعلها تحسب ألف حساب وحساب، بعد سقوط بشار الأسد بإذن الله.

اللهم أبرم لأهل العراق أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيها أهل المعصية والبدعة والكفر.

صفحات من تاريخ المقاومة الشعبية للتشيّع في العراق (٢/٢)

عبد العزيز بن صالح المحمود(*) – خاص بالراصد

عهد المغول من ٦٥٦ هـ في العراق:

حَكم المغول العراق وبلاد إيران بقيادة أسرة مغولية تدعى الأسرة الإيلخانية، والمغول كانت دياناتهم مختلفة، ولم يكد يمضي على سقوط بغداد عشر سنوات حتى بدأ المغول يُسلمون، وكان أول سلطان مغولي يسلم هو محمود غازان وذلك سنة ٦٩٤هـ، وعلى يد السنة، وأسلم بإسلامه المغول، وصار مسلما سنيا حنفي المذهب، وأمر أن يُذكر الخلفاء الراشدون في الخطبة، ولكنه في ذات الوقت أكرم علماء الشيعة، حتى اتهم بأنه شيعي، وهو ليس كذلك، فقد سكّ النقود وكتب عليها أسماء الخلفاء الراشدين.

توفي غازان سنة ٧٠٣هـ وتولى الحكم بعده أخوه محمد خدابنده، وهو أول مغولي يتشيع بتأثير من العالِم الشيعي ابن مطهر الحلي الذي نشط وألف كتبا تبشر بالتشيع، لكن تأثير تشيع السلطان المغولي بقي ضعيفاً بسبب المقاومة الشعبية للتشيع في عدة مدن إسلامية مثل شيراز وأصفهان وبغداد؛ لذلك كانت الدولة المغولية تراعي الشأن العام، وكان إعلان تشيعه سنة ٧٠٩هـ، والذي حثه على التشيع هو الوزير اليهودي رشيد الدين الهمذاني، مبرراً هذا الفعل بأنه تشيع سياسي لقطع **العلاقة مع الإسلام السني في مصر**[1].

وقد وصف الرحالة ابن بطوطة حال أهل بغداد عند تشيع خدابنده؛ فذكر أن أهل بغداد رفضوا تشيع السلطان وخاصة الحنابلة، فخرج منهم ١٢ ألف شخص بأسلحتهم ووقفوا ضد خطيب الجمعة الداعي للتشيع، وأصبح أهالي بغداد أعداء الحكومة، خشي السلطان خدابنده الوضع فأعلن رجوعه إلى السنة[2] في سنة وفاته سنة ٧١٦هـ وأمر بضرب النقود وعليها أسماء الخلفاء الراشدين[3].

خمد التشيع وخاف الشيعة في بغداد والعراق من وقيعة السنة بهم، وساعدهم على ذلك السلطان المغولي الأمير جوبان وكان سنيا متشدداً للسنة محاربا للتشيع، وحارب اليهود وقتل الوزير رشيد الدين الهمذاني[4].

ولا ننسى الموقف الجماهيري للعشائر العراقية، فقد أظهرت العشائر العربية السنية موقفا بطوليا بمقاومتها؛ فقد أشعلت عشيرتا خفاجة وعبادة، وكانت يومها عشائر سنية، ثورة عارمة أدت إلى قتل القائد الإيلخاني موسى خان آخر حاكم إيلخاني لبغداد وكانت هذه الثورة بقيادة شهاب الدين أبي علي العزي الذي حالف بقية العشائر وأسقط الإيلخانيين[5].

بدأ الشيعة في هذه المرحلة بالعمل السري المنظم، محاولين بأن ينشروا عقيدتهم بشكل جماهيري واسع، وكانت لهم فرصة عندما بدأ حكم الجلائريين لبغداد سنة ٧٣٨هـ (والجلائريون قبيلة مغولية) وكان والي بغداد حسن الجلائري شيعيا، وشيدت في عهده المساجد الشيعية والأضرحة ودفن أكثرهم في مقبرة النجف، لكنه في نفس الوقت لم يتدخل في الشأن السني ولم يناصر ويعاضد الشيعة كما فعل البويهيون، وترك المدارس السنية على حالها، لذلك استمرت العقائد السنية في بغداد تحمي الجماهير العراقية من التشيع وحمت مذاهب أهل السنة الأربعة[6].

عصر تيمورلنك (٧٩٥- ٨١٤هـ)

ظهر في العالم الإسلامي أمر جديد مع ترسخ غلاة التصوف السُني، من أمثال الطريقة الرفاعية، فقد رجعت النصيرية في الشام من جديد، وبرزت الحركة

(*) كاتب عراقي.

(١) تاريخ العقيدة الإسلامية (٢٤٣) عباس العزاوي.

(٢) الدرر الكامنة لابن حجر (٣/٣٧٨).

(٣) تاريخ العقيدة الإسلامية (٢٥٣) عباس العزاوي.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٨٧).

(٥) الدر المضي في نسب بني العزّي، لسليم محمود محمد العزّي (١٦٣).

(٦) تاريخ العراق بين إحتلالين (٢/٣٠) للمؤرخ عباس العزاوي.

الحروفية الصوفية والطريقة البكتاشية الغالية وأفكار ابن عربي وابن الفارض والسهروردي والجلال الرومي.

وقويت العلاقة بين المغول والصوفية، خاصة الطريقة الرفاعية، فقد أثّروا على التتار بمخاريقهم وحيَلهم، لذلك اعترف الرفاعية قائلين: (نحن ما ينفق حالنا إلا عند التتار، وأما عند الشرع فلا)[1]، هذه الحركات الصوفية شرعت بتخدير الجمهور السني العراقي عن وظيفته الحقيقية في المقاومة لكل انحراف[2]،

وبظهور التصوف ودعمه من قبل المغول، أصيب الشعب العراقي بخدر وكسل ودعه، فقد بث التصوف في نفوس العراقيين روح الخمول تجاه التحركات الشيعية الغالية؛ كما برزت الفلسفة المنحرفة ومؤلفاتها والميل للجدل النظري دون فائدة تذكر للأمة. وشكل التصوف والفلسفة عوامل مساعدة في تحطيم همة الأمة الإسلامية والجماهير العراقية، لذلك لا تجد في هذه الفترة حراكا للجمهور السني يذكر في مقاومة أي انحراف، بل وساهم ذلك في نزوح حنابلة العراق إلى بلاد الشام.

وشرعت بعض الطرق الصوفية بالميل للتشيع مثل الطريقتين الصفوية والبكتاشية والمزج بين التصوف والتشيع، بعدما كان التصوف أحد عوامل المقاومة للتشيع[3].

عهد التركمان: القرة قوينلو وآق قوينلو (٨١٤-٩٤١هـ)

تطورت الأمور في عهد حكم التركمان للعراق، ففي عهودهم بدأ التصوف والتشيع يمتزجان ليخرجا حركات غالية في انحرافها فظهرت حركة المشعشعين في العراق وهي مزيج من التصوف والتشيع الغالي، وقامت دولة المشعشعين في بلاد الأحواز[4] (منطقة خوزستان/ عربستان)، بين سنتي (٨٤٠- ٩١٤هـ)، وهذا يؤكد على استمرار مساعي الشيعة لنصرة مذهبهم.

قامت دولة المشعشعين بنشر التشيّع في الجنوب العراقي فنجحت في ذلك في مناطق البطائح (الأهوار) وهي الآن في محافظة ميسان ومركزها العمارة[5]؛ وسبب ذلك التشيع يعود إلى أن أهل هذه المناطق غير تابعين لسلطة الدولة، ويثورون على كل حاكم، ويعيشون حياة متخلفة بعيدة عن الحضارة والمدنية، وحياتهم قائمة على تربية الجاموس وصيد الأسماك والتنقل بين الأهوار، ومساكنهم من قصب[6]؛ لذا لم تستقر عندهم حضارة ولا مدارس علم ولا مساجد ولا علماء فضاعت الجماهير، وكان تشيعهم مردّه عدم وجود محصّن ثقافي لهم أو حضاري يحميهم.

وكان الهمّ الأول للمشعشعين هو الغزو والسطو على البلاد، فناسب أهل البطائح عقلية المشعشعين وأفعالهم؛ لذلك كان هذا أحد أسباب قبولهم للتشيع؛ فهذا مؤسسهم محمد بن فلاح عندما ظهر في سنة ٨٤٠ هـ في الكوفة وأدّعى المهدية وكان قد خلط التصوف المنحرف بالتشيع، وادّعى ألوهية علي بن أبي طالب، أفتى شيخه الشيعي أحمد بن فهد الحلي (ت: ٨٤١هـ) بقتله، فهرب إلى الأهوار وحماه سكانها المعدان (المعادي) والتفوا حوله، وهم أول جماعة حمته وكون معهم دولته، والعشائر المتأثرة به وقتها هم: بنو سلامة والسودان وبنو أسد وبنو طي وبنو حطيط، وهؤلاء تأثروا بتشيعه الغالي وشرعوا بالإغارة على المدن السُنية كمدينة واسط (قبل

---

(١) البداية والنهاية (٨٧/١٤)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٥٥/١١).

(٢) هذا التخدير يمارسه اليوم في العراق بعض السلفيين بإبعاد الجمهور السلفي عن التصدي للفتن الشيعية والانزواء بعيدا، وعدم مشاركة الجماهير السنية في مقارعة التشيع، وبهذا يترك المجال للمتطرفين السنة والشيعة للظهور في الساحة.

(٣) انظر تحقيقنا لكتاب «**الاعتقادُ في الصّحابةِ وبيانُ فِرقِ الشّيعةِ ومشابهتِهُم لليهودِ**» للإمام العارف شيخ الإسلام عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلاني، والذي طبع حديثا في مكتبة الإمام البخاري بمصر.

(٤) الأحواز جنوب شرقي العراق هي اليوم تابعة لإيران.

(٥) يرجح الكاتب العراقي علي الوردي (شيعي) في كتابه البديع (دراسة في طبيعة المجتمع العراقي) طبعة الوراق (١٧٣ - ١٧٥) أن سكان الأهوار هم خليط من بقايا الأمم القديمة التي كانت بالعراق مع قبائل عربية مثل: البو محمد، والبو نصر، وبنو أسد، وبنو خيقان، وعشيرة الفرطوس، وهؤلاء كلهم يسمّون معدان بلهجة العراقيين ويسمونهم أهل الفرات الأوسط (الشروق وباللهجة العراقية الشروك) والحقيقة أن أهل الجنوب يحتقرون أهل الأهوار بسبب أصولهم، وبسبب تربيتهم للجاموس وصيدهم الأسماك فهذه أعمال في نظر أهالي الجنوب معيبة، وكذا بسبب غدرهم.

(٦) ويسمون المعدان.

أن تندرس في القرن العاشر) ومدينة جصّان[1] فقاتله أهلها وجماهيرها السُنّة وذلك في سنة ٨٤٤هـ وبعد مرور عام سيطر على مدينة الحويزة وانضم إليه من القبائل العربية: عبادة وبنو ليث وبنو سعد، وهذا يعني أن بواكير انتشار التشيع في الجنوب بدأت من محمد بن فلاح المشعشعي[2].

كما في ذات الوقت تحولت الحركة الصوفية الصفوية إلى التشيع في شمال إيران، وكوّن إسماعيل الصفوي دولته الصفوية في إيران والتي زحفت إلى العراق.

الدولة الصفوية في العراق وإعلان التشيع فيه سنة ٩١٤هـ:

كنا قد كتبنا رسالة عن الصفويين بعنوان (عودة الصفويين) نشرناها في مجلة الراصد، ثم نشرت مفردة في عدة دول، لكن الذي يهمنا هو الحراك الجماهيري السني في بغداد لمواجهة التشيع، ورغم أن ظلما مستمرا أصاب أهل العراق بكثرة الحروب والنزاعات مع تخدير الفكر الصوفي الفلسفي لهم، وضعف الوازع العلمي والديني في العراق، وشروع شيعة العراق في مراسلة الصفويين، ومنهم نقيب أشراف الشيعة محمد كمونة[3] الذي كان محبوسا بتهمة التحريض لاستقبال الصفويين في بغداد، وكان يقنع أهالي بغداد السنة بأن إسماعيل الصفوي ملك عادل، وكان القلق سيطر على أهل بغداد وكانوا يريدون أي حل يخرجهم مما هم فيه.

وقد سهّل كمونة دخول قادة إسماعيل الصفوي إلى بغداد (حسين بك لالة) دون قتال، وتوجه إلى جماهير قبائل الجنوب السنية[4] ليؤدبها من الثوران والهيجان ضد الشاه الصفوي. ثم عاد لبغداد ليفعل بهم الأفاعيل؛ فقتل السنة، وهدم المدارس الدينية، وهدم أضرحة العلماء مثل أبي حنيفة وعبد القادر الكيلاني، وقتل عوائل سنية بعينها مثل الخوالد (نسبة إلى خالد بن الوليد) وفرح مؤرخو الشيعة بقتل أهالي بغداد لأنهم نواصب[5]. وهربت عدة عوائل بغدادية معروفة إلى خارج العراق منهم العائلة الكيلانية، ولم يتخلّص أهل العراق عامة وبغداد خاصة من الصفويين إلا بتدخل الدولة العثمانية السنية[6].

وكان للأتراك العثمانيين فضل إرجاع العراق سنيا بقيادة السلطان مراد الرابع، والذي دعّم فعله بحل جماهيري فنقل القبائل العربية من الرها مثل عشيرة الكروية (القيسية) وأسكنهم منطقة ديالى شرق بغداد بعد تحرير بغداد من الصفويين، للوقوف بوجه الفرس الصفويين وصدّ هجماتهم.

جهد جماهير وعشائر بغداد

وحين حاول بكر صوباشي وهو أحد قادة السلطان العثماني سليم الرابع أن يثور ويستولي على بغداد استنصر الشيعة بالصفويين، فحشدوا لغزو بغداد من جديد، وكان جماهير أهل بغداد على اختلاف مشاربهم (الماتريدية والأشعرية، السلفية وأهل الحديث، الطرق الصوفية المعروفة في العراق وهي القادرية والنقشبندية والرفاعية) تدرك حقيقة الصفويين.

ولذلك ساهم الجميع من أهالي بغداد خصوصا والعراق عموماً في صد التشيع والصفويين، فقد نقل المحقق عماد عبد السلام رؤوف[7] وصفا لأهالي بغداد ومقاومتهم الجيش الصفوي الذي أرسله الشاه عباس لاحتلال بغداد وقتل سُنتها وذلك سنة ١٠٣٢م بعد حصار أكل الناس فيه لحوم الحيوانات والآدميين: (... يصف

(١) هي مدينة ما تزال موجودة في العراق على الحدود مع إيران تابعة لمحافظة واسط وأهلها اليوم شيعة غلاة.

(٢) انظر العراق بين احتلالين (١٠٩/٣- ٢١٣)، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية (١٩١/١٠- ٢٠٥).

(٣) هو من الشيعة الأعرجية (ينتمون لآل البيت) والذين منهم العزة، وسنحكي عن دور هذه العشيرة البطولي لصدّ الفرس الشيعة، وفي هذا تأييد إلى أن المذهب هو الذي يؤثر في الفرد لا العكس، فآل البيت عندما يكونون شيعة يظهر منهم السوء، وعندما يكونون سنة يزيدهم نسبهم شرفا.

(٤) كانت جماهير قبائل الجنوب سنة مالكية (موالج) وشافعية وأحناف.

(٥) كما ذكر ذلك مؤرخهم ابن شدقم في كتابه (تحفة الأزهار وزلال الأنهار).

(٦) وهكذا كان الأتراك دائما بسنيتهم منقذا لسنة العراق؛ بداية من السلاجقة ثم العثمانيين، واليوم تلعب تركيا دوراً في دعم سنة العراق لإنقاذ كل العراق لا بعضه.

(٧) في تحقيقه لكتاب (زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية) لداود جلبي في هامش (ص ٦٢- ٦٣).

المؤرخ محيي الدين العباسي قاضي تكريت المعاصر للأحداث كفاح أهل بغداد في تلك الأيام العصيبة فيقول: (إن أهل بغداد قاموا بأعمال عظيمة قلما أمة قامت بها، بأن حاربوا جيش الشاه وقتلوا منه كثيراً .... وقد شحنوا أبواب السور بكثرتهم وصعدوا الأبراج يرمون من مزاغلها العدو بالنشاب وليس من يعينهم ويدير حركاتهم، ومع هذا قاموا بحرب دامية استظهروا بها على العجم، وفتحوا باب السور الوسطانية وخرجوا عليهم بالسيوف والخناجر وصارت ملحمة في الباب وعلى قناطر الباب، دامت ثلث النهار حتى ملئ الخندق بأشلاء العجم، ولما تراجع عسكر العجم من أطراف المدينة وقوي ساعدهم أوصدت الباب العالي ودام القتال إلى الليل ثم رجع العجم إلى مضاربه وخيامه، وتركوا قتلاهم وجرحاهم في الخنادق لا يحصون، ولما كان الغد أخذ أهل بغداد يقوون إخوانهم في الأبواب ويشحنونها بالمقاتلة، والنساء ينقلن إليهم الطعام ويزغردن فرحاً وتشجيعاً وكل هذا والمدينة خالية من الجند..)[1]

وما كان الناس في يومها ليدافعوا لولا أن ثقافة سُنية أصيلة غرست فيهم ترفض التشيع، ولولا ثقافة أودعها فيهم أهل العلم والدعاة.

ثم تسلط الصفويون مرة أخرى في عهد الشاه عباس الصفوي الذي استطاع في سنة ١٠٣٣هـ أن يدخل بغداد مرة أخرى، وخدع أهالي بغداد وجماهيرها وهذه غفلة كبيرة من الجمهور وقياداته، دفع أهل بغداد ثمنها بل أهل العراق، عندما وعدهم الشاه عباس بالأمان إن سلموا أسلحتهم، فلما فعلوا أخذ يقتّل ويعذب الآلاف، ورفض كثير من أهل بغداد تغيير عقيدته (صمود ورسوخ العقيدة السنية)، وفضلوا الموت على التشيّع ولو بالظاهر، وأخذ أطفالهم والنساء فباعهم كعبيد داخل إيران ولم يعرف لهم خُبر فيما بعد، وكان ينوي إبادة أهل السُنة في بغداد، لذا طلب من سادن وخادم كربلاء إعداد قوائم لأهل السُنة والشيعة كي يبيد أهل السُنة، وحوّل المدارس الدينية إلى اصطبلات لخيله، وهدم جامع أبي حنيفة وجامع ومدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني، وكان هذا هو التهديم الثاني.

ولكن السلطان العثماني التركي أعاد فتح بغداد وحررها، وأشرك معه العشائر في مدينة داقوا (قرب كركوك) من عشائر العزة مع جيشه وكان منهم محمد البيطار وأخوه أحمد الصكار وذلك سنة ٩٦٣هـ، وساهموا في تحرير بغداد، فأسكنهم في منطقة قرة تبة، في محافظة ديالى اليوم، لصد الفرس مستقبلا كما فعل السلطان سليم مع عشيرة الكروية (القيسية)، وهو جهد عشائري مقاوم للتشيع الصفوي[2].

ولم يكن هذا الصمود عربياً وحسب بل كان صموداً سنياً فحتى جماهير السنة بمن فيهم الصوفية من الأكراد قاوموا محاولات الشاه عباس الصفوي لنشر التشيّع في مناطق الأكراد (كردستان) ورفضوا ترك دينهم إلى مذهب التشيع؛ وعندما عجز الشاه عباس عن ترغيبهم لجأ إلى معاقبتهم؛ فقتلهم وشرَّدهم، فقد قتل في عدة أيام (٧٠ ألف كردي)، ورحَّل (١٥٠٠٠) عائلة كردية من موطنها في كردستان إلى غرب إيران، إلى بلاد خراسان ليكونوا حاجزاً بينه وبين الأوزبك السُنة وبين الفرس الشيعة، لكن الأكراد أبوا إلا أن يبقوا على مذهبهم الحق، سُنة شافعية ليومنا هذا[3].

وفي الختام: فالدارس لأحوال العراق يجد هذه الجهود والأعمال متذبذبة بحكم الوضع السياسي فتارة تنشط الجماهير وتارة تفتر، ومردّ ذلك إلى مستوى الوعي بحقيقة التشيع وخطره عند السنة سواء كانوا من العرب أو التركمان أو الأكراد والذي يعكس جهود العلماء

(١) نقلا من مخطوط نشر قسم منه في جريدة العراق ٢٧ حزيران ١٩٣٠م.

(٢) الدر المضي في نسب بني العزّي، لسليم محمود محمد العزّي (١٦٦).

(٣) خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، محمد أمين زكي، ترجمة محمد علي عوني، ١٩٣٦م، الصفحات: ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١. (History of Persiav`vol 11، P 174). وفي ذلك عبرة للأكراد وخاصة أكراد العراق، فقد صمد أجدادهم على المذهب رغم ما فعله الشاه عباس بهم، فقد حاربهم من أجل مذهبهم لا لأنهم أكراد، وفي الوقت الحاضر تعاون قادة أكراد العراق مع الشيعة واطمأنوا لإيران، لكن إيران لن ترحمهم إذا انتهت من سُنة العراق العرب، فالإكراد على أي حال سُنة، والعاقل من اتعظ بغيره. وعليهم اليوم أن يقفوا مع الحراك السُني ويدعموه كي يتخلصوا من شرور إيران والتشيع.

والدعاة في هذا المجال، ولهذا وقف أهل العراق مع كل والٍ أو حاكم أو خليفة يخلّصهم من التشيع وأهله.

هذه بعض الصفحات المضيئة من تاريخ المقاومة الشعبية العراقية نكتبها لعلها تنير الدرب لأصحاب الحراك اليوم؛ فإن أسلافهم فعلوا الواجب في حماية هذا البلد الإسلامي من التشيع المنحرف، ومهمتنا اليوم حماية البلاد من التشيع الصفوي الإيراني الغاشم.

والله من وراء القصد.

هل بدأ طور جديد من التشيع؟

بوزيدي يحيى(*) – خاص بالراصد

شهدت السنتان الأخيرتان حراكا تبشيريا شيعيا كبيرا في مصر والمنطقة المغاربية ترافق مع نشاط كبير للساسة الإيرانيين تركّز بشكل خاص على مصر التي زارها الرئيس الإيراني أحمدي نجاد مؤخرا، وقد أثارت الزيارة جدلا واسعا بما عرف بالأزمة مع الأزهر الذي وضع النقاط على الحروف مع الإيرانيين بطرحه القضايا الخلافية على طاولة النقاش علنا، الأمر الذي لم يعهده الإيرانيون سابقا وأحرجهم كثيرا.

تمثل النشاط الشيعي في الدول التي شهدت تحولات سياسية جذرية (تونس ومصر وليبيا) في محاولة المتشيعين استغلال تلك التحولات للتموضع اجتماعيا وسياسيا من خلال السعي لتأسيس أحزاب سياسية وجمعيات خيرية وثقافية على غرار جمعية «المودة الثقافية الشيعية» في تونس، وتأسيس حزب سياسي في مصر، أما في ليبيا فلعدم وجود رموز شيعية محلية فيها تقدم الإيرانيون بأنفسهم المشهد لنشر التشيع من خلال توزيعهم الكتب وإقامة معارض أو من خلال خلاياهم العربية واللبنانية تحديدا، وهذا ما تنبهت له السلطات الليبية فقامت بإجراء احترازي بمنع الوافدين الذين سبق لهم زيارة إيران من دخول البلاد.

أما في الجزائر فقد أصبح مألوفا أن يطفو من حين لآخر موضوع التشيع إلى السطح، وكان آخرها ما تم تداوله مؤخرا عن نشاط شيعي داخل أفواج للكشافة الإسلامية الجزائرية في ولاية «باتنة»، والتي على إثرها دقت المؤسسة ناقوس الخطر منبهة في التقرير الذي أعدته لجنة التحقيق في الموضوع إلى أن التشيع منتشر بين عائلات وليس وسط تلاميذ ومرتادي الأفواج الكشفية فقط، ودعت إلى تفعيل منظومة دفاع اجتماعية وقيمية مشتركة لحماية الهوية الوطنية[1].

هذا النشاط والحراك السياسي يتناقض مع ما يفترض أنه انحصار لإيران ومشروعها في المنطقة، وتحديدا بعد موقفها من الثورة السورية وتورط وكيلها اللبناني حزب الله في الدم السوري، إذ كشف دوره حقيقة وطبيعة المشروع الطائفي الإيراني للرأي العام العربي، وأدى إلى تدني شعبية الحزب وراعيه، ونظرا لأن التشيع الحديث اعتمد في إستراتيجيته على السياسة فكان يفترض أنه سيخرج من البوابة التي دخل منها، ولكن ما يجري على الواقع معاكس إلى حد ما لهذا الافتراض. فهل هذا مؤشر على ولوج التشيع مرحلة جديدة في بنيته وتشكله؟

عوامل الثبات في ظل الهزات السياسية

استمرار المتشيعة في تمسكهم بعقائدهم وثباتهم عليها والعمل على نشر التشيع بدلاً من الانكسار والتراجع تقف خلفه جملة من العوامل لعل أبرزها ما يلي:

❖ الارتباط بين التشيع والسياسة يختلف من مرحلة ما قبل التشيع عمّا بعده، ففي حين كانت هذه العقيدة ملحقة بالسياسة فإنها تتحول بعد التشيع إلى العكس حيث تصبح السياسة ملحقة بالعقيدة. بالتالي فإن الموقف السياسي يرتبط بموقف المرجعية الدينية الجديدة، لذلك لا يستغرب أن يتبنى المتشيعون المواقف السياسية الإيرانية

(*) كاتب جزائري.

(1) الكشافة الإسلامية تحذّر من المدّ الشيعي، الشروق الجزائرية، 2013/02/08، على الرابط:
http://www.echoroukonline.com/ara/articles/156319.html

ويـدافعون عنهـا ويروجـون لهـا، ولا يتـأثرون بـالهزات السياسية التي تعرضت لها إيران داخليا وخارجيا. فمثلا حـدث احـتلال العـراق مـن قبـل أمريكيـا بمعونـة إيـران وحدث إعدام صدام حسين على يد الشيعة برغم قوة تأثير هـذين الحدثين إلا أنـه مـن خـلال القـراءة الأوليـة لمجريات الأحـداث فإنـه يتـضح أن المتـشيعين لم يتـأثروا بـذلك ورؤيتهم لهمـا كانـت رؤيـة إيرانيـة خالـصة، ورغـم كـل سياسـاتها الـسلبية هنـاك مـع عملائهـا إلا أنهـم يـرون في المالكي محررا للعراق، وأنـه استطاع بدهائـه الـسياسي إخـراج الاحـتلال وهـو الـذي أتـى علـى ظهـر الدبابـة الأمريكية.

وهذا الموقف للمتشيعة مما جرى في العراق لم يختلف عنه في سورية، حيث يـرون مـا يجـري مؤامرة أمريكيـة على إيران وسوريا وحزب الله ولذلك لم يتأثروا بكـل مـا يجـري هنـاك مـن مجـازر وإرهـاب واغتـصاب للـسوريين والسوريات، واستمروا في نشاطهم التبشيري.

إضـافة إلى ذلـك فإنـه كمـا عملـت حـرب ٢٠٠٦ بـين حـزب الله وإسـرائيل علـى طـي صـفحة احـتلال العـراق أو التعتيم عليها علـى الأقـل ورفـع أسـهم إيـران مجـددا، يقـوم الحزب حاليا بنفس الدور للتعتيم على نهجـه ضـد الـشعب السوري وتبييض وجه إيران بخطابات زعيمه حسن نصر الله الكثيرة والتي يحاول مـن خلالها جاهـدا ترسـيخ هـذا التصور لـدى جمهوره وإنقـاذ مـا يمكـن إنقـاذه مـن الـرأي العـام العربـي، وقيامـه بـبعض الـسلوكيات الـشكلية كإرساله طائرة بدون طيار فوق إسـرائيل وإعـلان طهـران أنها من صنع إيراني، وإن كانـت لم تـؤدِّ الغـرض المطلوب إلا أن المتـشيعة تلقفوهـا لتطمئـنهم وتثبـت قلـوبهم علـى التشيع وتمنحهم بعض الحجـج لتبريـر الموقـف علـى الجبهـة السورية.

وفي هـذا الإطـار لا بـد مـن الإشـارة إلى وجـود إعـلام قوي يُشحن به المتشيعون بمواد إعلاميـة بشكـل مـستمر، إذ تمثـل وسـائل الإعـلام الـشيعية بأشـكالها المختلفـة منظومـة متكاملـة، والمتـشيعون داخـل هـذه الفـضاءات المتعددة منغلقون على ما يوافقهم أيـديولوجيا، وتـأتي قنـاة الميادين الجديدة في مقدمـة الفـضائيات الـتي يتابعونهـا إلى جانـب قنـاة المنار بعـد القطيعـة مـع الجزيـرة، ناهيـك عـن المواقـع الالكترونيـة لهـذه الفـضائيات وغيرهـا مـن المواقـع الصديقة.

تبعـا لـذلك تـشكل الأزمـات الـسياسية والاقتـصادية والاضطرابات الأمنيـة التي تمر بها هذه الدول الـتي حصل بها التغيير مـادة إعلاميـة يستثمر فيهـا الإعـلام الإيرانـي، وهنـا يجـب التنبيـه لملاحظـة هامـة، وهـي اشـتراك الإعـلام «الممانعـاتي» واندماجـه في الخطـاب الـسلبي تجـاه الثـورات الشعبية، ففـي سـبيل الـدفاع عـن نظـام الأسـد تحـول هـذا الإعـلام إلى رافـد لإعـلام الفلـول ضـد الإخـوان المـسلمين والـرئيس مرسـي في مـصر علـى سـبيل المثـال لا الحـصر، وهـو الـذي ابـتهج بـالثورة المـصرية ودافـع عنهـا في الأيـام الأولى بل وحـاول أن يسوقها كثمـرة مـن ثمـرات الخمـيني والجمهورية الإسلامية.

❖ غرابـة التـشيع عـن جـسم المجتمعـات المغاربيـة أو السنية عمومـا تجعـل هـذه المجموعـة الدينيـة منغلقـة علـى ذاتهـا أكثـر مـن أي مجموعـة أخـرى حيـث تتعطـل لـدى المتـشيع كـل أجهـزة الـتفكير والعقلانيـة ولا تنفـتح إلا داخـل المجموعـة وانفتاحهـا يكـون في اتجـاه واحـد وهـو اسـتهلاك كـل مـا يمكنـه تأكيـد القناعـات الـسابقة. كمـا أن الانبهـار الأيـديولوجي يـساهم في كـبح عقـول المتشيعة ويسهل ابتلاعهم كل ما يوجـه لهـم، مـع العلـم أن هـؤلاء يتـشيعون في فـترات المراهقـة الـتي لم يكتمـل نضجهم فيها بعد، وهنا تتشكل علاقـة أبويـة بينهم وبـين من يشيعهم، خاصة عندما يكون هؤلاء من هواة المطالعة وهـذا مـا يلـتمس عنـد الكـثير مـنهم حيـث يميلـون إلى الجانب الفكري والفلسفي في قراءاتهم.

يـشكل الخطـاب الـشيعي المأسـاوي للروادیـد الحسينيين بالنسبة للمتشيعين نوعا من المواساة الداخلية، فبحكم الـرفض المجتمعـي والعـائلي لهـذا التحـول الـديني ومـا يرافقـه مـن تـضييق معنـوي علـى الأقـل إلى جانـب المشاكل المادية الـتي يعـاني منهـا هـؤلاء (خاصـة عنـدما تقترن بتشيعهم. لنأخذ علـى سـبيل المثـال المتشيعين الـذين حولوا من التعليم إلى مناصب إدارية) فانـه يَتَمثلُ للمتشيع أن ما يجري له ومـا يعـاني منـه هـو نفسه مـا عـانى منـه آل

البيت «تراجيديا كربلاء»، ولما يستمع للرادود الحسيني وما يبعثه من خطاب مأساوي حزين يحفزه على الصبر على ما هو عليه وإلى غير ذلك من التصورات. والطابع الحزين لهذا الخطاب سواء في مضمون الأشعار أو طريقة الإلقاء تتناغم مع الحالة النفسية للمتشيعين خاصة أمام الضغط الذي يواجهونه في محيطهم الاجتماعي.

كما يشكل الاحتفال بعاشوراء وسيلة للتواصل الاجتماعي والتآزر، وتجديد الولاء بصيغة ما، وما تخلقه من شعور تضامني وجرعات (إيمانية جديدة).

الانفصال الجزئي

شبهت في مقالة سابقة المشروع الإيراني بفيروس نقص المناعة المكتسبة HIV وخاصة في التحورات والتغيرات التي يجريها على تركيبته الجينية حيث يستطيع أن يراوغ الآليات الدفاعية للجسم الهادفة إلى التخلص من الخلايا المصابة بالعدوى وأن يشتت شملها[١]. ولعل هذا ما يحصل داخل بنية التشيع حاليا، فالحركية التبشيرية تؤشر إلى تحول يحصل في بنية التشيع وربما نكون أمام مرحلة إعادة صياغة المتشيعين لعلاقتهم بإيران، وليس معنى ذلك الانفصال التام لأن هذا مستحيل ويتعلق بعلاقة وطيدة تربط التشيع بالمرجعية، ولكن ما نعنيه هنا الانفصال على مستوى من المستويات، أو الانشطار الجزئي في طريقة الانتشار والاستقطاب والتي باتت لا تعتمد على الأحداث السياسية التي لم تعد تخدم التشيع بل على العكس تؤثر عليه سلبا لذلك انتقلت إلى الدعوة للتشيع دينيا مباشرة دون المرور على المرحلة السياسية كما كان يحصل سابقا وهو من جهة أخرى نوع من الاعتماد الذاتي بدل الاتكال على المنجزات الخارجية، ولعل من المؤشرات التي تدلل على هذا ما يلي:

- بروز أسماء شيعية تمثل رموزا محلية وإن لم تتدرج في دراستها إلى مستوى المرجعيات إلا أن قضاء الكثير منهم سنوات عديدة في الحوزة على الأقل أكثر من سبع سنوات كفيلة بمرتبة السيد لا يمكن التقليل من أهميتها، وأعداد هؤلاء بالعشرات. فمثلا تحدثت جريدة الشروق الجزائرية قبل قرابة ثلاث سنوات عن وجود خمسين جزائريا يدرسون في حوزة قم[٢]، ولا شك أن عددهم الآن أكثر مع الأخذ بعين الاعتبار حوزات أخرى أبرزها تلك التي في سوريا ولبنان. ولنا أن نتساءل عن دورهم عندما يعودون إلى وطنهم، هذا فضلا عن علاقاتهم الحالية مع المتشيعين خاصة في الولايات التي ينحدرون منها. وفي دول أخرى على غرار تونس ومصر والمغرب هناك أسماء شيعية لها تأثير قوي تخوض نقاشات دينية يسهل عليها مهمتها جهل المجتمعات بمثل تلك النقاشات.
- دندنة المتشيعة كثيرا حول البعد التاريخي ومحاولتهم التأكيد على أصالة التشيع في شمال إفريقيا من خلال الدولة الفاطمية مؤشر أيضا للانفصال عن السياسة والاعتماد في نشر التشيع على البعد الديني والأحقية التاريخية.
- استهداف الأشراف المغاربة ودغدغة مشاعرهم لانتسابهم للمصطفى ﷺ وجعلهم ذلك شكلا من أشكال التميز الذي يفترض أن يكون دينيا أيضا بإيهامهم بمخالفة منهج أجدادهم آل البيت الذين ينتسبون إليهم وضرورة عودتهم إليه.
- التركيز على الطرق الصوفية التي يجمعها بالتشيع الكثير من الطقوس والمعتقدات المتعلقة بالأولياء والأضرحة، كما يجري حاليا في صعيد مصر الذي أصبحت محافظاته المأوى الأكبر لشيعة مصر، بسبب انتشار الطرق الصوفية في الصعيد، بالإضافة إلى بساطة السواد الأعظم من مواطني هذه المحافظات والذين يتم التأثير عليهم بسهولة، إلى جانب هجرة عدد كبير من الإيرانيين قبل الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ إلى مصر خاصة محافظات الصعيد النائية مثل الأقصر وأسوان وأيضًا

(١) بوزيدي يحيى، فيروس المانعة الإيراني، مجلة الراصد، العدد ١١٠، على الرابط:
http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5726

(٢) 50 طالبا جزائريا يتشيعون ويعتكفون في قم الإيرانية، جريدة الشروق، ٢٠١٠/٠٥/١٠، على الرابط:
http://www.echoroukonline.com/ara/?news=51845

النوبة، واستطاعوا نشر التشيع في هذه الأماكن بطريقة كبيرة[1]. ومحافظات الصعيد من حيث ضعف مناعتها من التشيع ربما تكون نموذجا عن المجتمعات المغاربية التي تسودها قابلية للتشيع.

- ما يتداول من أخبار عن ممارسات المعلمين وحديثهم بطريقة ساخرة عن الصحابة رضوان الله عليهم وطرح الشبهات كلما سنحت الفرصة لذلك، إضافة إلى أنه أسلوب ديني مباشر في نشر التشيع فانه يحدث خلخلة كبيرة وزعزعة لمعتقدات الأطفال والمراهقين ويجعلهم في حالة تشكيك مستمرة، ومحاولة البعض منهم الخوض في تلك النقاشات دون دراية واطلاع على عكس المتشيعين كثيرا ما تحقق أهداف الأخيرين.

الخلاصة

دون شك فإن طرق نشر التشيع التي أوردناها أعلاه ليست جديدة كليا مثل الترويج للكتب الشيعية أو تشكيل جمعيات وأحزاب سياسية أو اختراقها، ولكن الخطورة تكمن في أن القراءة الأولية للتشيع والذي ارتبط بالجمهورية الإسلامية والخمينية أي بمدخله السياسي وازدهاره في ظل بروبغاندا حزب الله حتى الثورة السورية التي كشفت القناع عنه مما افترض انحصار الظاهرة أو انكماشها أو تراجعها بالتراجع السياسي لإيران وهذا ما لم يحصل. لذا وجب التنبيه والتحذير من عدم التعويل على البعد السياسي في قراءة ظاهرة التشيع.

ولعل أهم ما نخلص إليه على ضوء نشاط الساسة الإيرانيين: أنه لا يتوقع من النظام الإيراني تغيير خياراته التي تأسس عليها، ونشر التشيع جزء ثابت منها، وحتى إن حصل ذلك منه، فإن الحوزات الشيعية في قم والنجف وغيرها لن تتوقف عن نشر التشيع، كما لا يتوقع أن يتوقف المتشيعون عن نشاطهم التبشيري.

وربما تكون حركة التشيع في دول مثل تونس ومصر - والتي لا شك أن الظاهرة متقدمة فيها سواء في حجم النشاط أو أشكاله والقدرة على صناعة الرموز - مثال لما يمكن أن يؤول إليه الوضع في دول أخرى.

(١) عبر الطرق الصوفية خلايا شيعية تغزو صعيد مصر، ٢٠١٣/٠٢/٠٥..

تشويه الإسلاميين.. المرأة نموذجا

فاطمة عبد الرؤوف(*) - خاص بالراصد

لعلها القضية الأكثر إثارة وجدلا وتشكيكا كلما أرادوا الانتقاص من الإسلام أو المسلمين.. تلك هي قضية المرأة سواء في الفكر الإسلامي أو على مستوى واقع الإسلاميين.

يحدث هذا التشويه على مستويات متعددة بدءا من النخبوي وحتى القاعدة الشعبية العريضة فبين العامة تنطلق الشائعات كالنار في الهشيم أن احذروا هؤلاء الإسلاميين الظلاميين الذين سيحيلون حياتكم جحيما ويتوجهون بخطابهم للمرأة تحديدا: أن احذري أيتها المرأة من هؤلاء الإسلاميين فإنهم سوف يجبرونك على النقاب، وسوف يمنعونك من العمل إن كنت عاملة، وسوف يحرمونك من الدراسة إن كنت طالبة، وسوف يجبرون زوجك على الزواج، وإن طلقك فلا حقوق لك ولا نفقة ولا سكنى ولا حتى حضانة أولادك.

الإسلاميون سيزوجون الطفلة وسوف يبيحون نكاح الزوجة التي توفاها الله سبحانه وتعالى. باختصار سوف يبذلون كل الجهد من أجل إهانة المرأة وتحقيرها والحطّ من كرامتها وتجهيلها وتحويل حياتها إلى ظلام دامس تعود فيه النساء إلى عصر الجواري أو أشد قسوة.

هذا الخطاب يتكرر كثيرا جدا بآليات متعددة كالعمل الدرامي الذي يتغلغل ببساطة في قلوب القاعدة الشعبية وكبرامج التوك شو التي تستمد الطبقة المتوسطة ثقافتها منها، وبالطبع المقالات والبحوث التي توجه للفئة الأكثر ثقافة. ولو أخذنا نموذجا واحدا من سلسلة المقالات التي تنشر على هيئة حملات لتشويه الإسلاميين والتي تتخذ من قضية المرأة محورا وركيزة لها لوجدنا العجب العجاب وهذه فقرات من إحداها: (لا

(*) كاتبة مصرية.

تنتهي فتاوى الإسلاميين التي تتعلق بالمرأة، فمن ختان النساء إلى فتوى ممارسة الجنس مع الطفلة الرضيعة إلى فتوى إرضاع الكبير التي عادت لتتصدر منجزات المؤسسة الدينية الإسلامية.

هذه الفتاوى نتاج عقدة أغلب رجال الدين تجاه المرأة ونتاج العقلية البدوية التي تنظر بهذه الدونية للمرأة وتتعامل معها على هذا الأساس الذي يعبّد الطريق للمجتمع في ترسيخ هذه الصورة عن المرأة فهي مسلوبة الحقوق ومنتهكة في الدنيا وفي الآخرة ينتظرها عذاب الحريق.

هذه العقلية أفرزت بالتالي فتاوى فردية تستهدف إنسانية المرأة ويسكت عنها أغلب رجال الدين فالإسلام السياسي نتاج الفكر الذكوري - الذي يسبغون عليه الشرعية والقدسية- يصرّ على جعل المرأة أحد الأهداف التي يناصبونها العداء.

متى تتحل عقدة الإسلاميين تجاه المرأة؟ أم سيظل همّهم الأبدي الذي تتوقف عليه المدينة الفاضلة التي يبشرون بها على أرضٍ فيها المرأة منتهكة محتقرة تتساوى مع البهائم في الدنيا، وفي الآخرة ينتظرها عذاب الحريق»[1].

لو قمنا بتحليل هذا المقال كنموذج لتشويه الإسلاميين سنجد الآتي:

ـ الهدف النهائي من المقال هو تحقير وتشويه الإسلاميين عبر قضية المرأة، وفي هذا المقال تحديدا فإن التحقير قد طال الفقهاء أيضا وتم نعتهم بأسوء النعوت.

ـ الفقهاء (رجال الدين) لديهم عقد نفسية هي الدافع وراء ما يصدرون من فتاوى تخص المرأة.

ـ السخرية من المؤسسة الرسمية الإسلامية.

ـ المرأة هي أحد الأهداف التي يناصبها رجال الدين الذكوريون العداء.

(١) انظر: آلاء الجبوري، «المرأة المسلمة وفتاوى الإسلاميين» موقع الحوار المتمدن ٢٠١٠/٦/٩، بتصرف يسير.

ـ المدينة الفاضلة التي يبشر بها الإسلاميون تتساوى فيها المرأة مع البهائم.. أما في الآخرة فينتظرها عذاب الحريق.

هذا المقال الذي قمنا بعرضه وتحليله ليس بدعا فمع اختلاف الأسلوب بين كاتب وآخر فإن الأفكار تبقى ثابتة، ومع اختلاف الأسلوب بين المقال الصحفي والعمل الفني فإن المضمون يبقى واحدا أيضا، فتجد على موقع يوتيوب مثلا فيلما يضرب فيه رجلا زوجته المنتقبة إثر مشادة بينهما في سيارة الأجرة فيضعون تنويها عن الفيلم بعيدا عن أكاذيب الإسلاميين بشأن المرأة، هذا الفيلم يوضح حقيقة موقف الإسلاميين أي الضرب والإهانة فهذا الرجل هو ممثل الإسلاميين بزعمهم وتجد مثل هذه الأفلام نسبة مشاهدة عالية.

وعي زائف

هذه الأطروحة العلمانية ذائعة الصيت يعكر صفو كذبها وافترائها هذا الكمّ الضخم من النساء الإسلاميات اللاتي لم يجدن في ظلال الإسلام والفكر الإسلامي إلا تحقيق الذات الإنسانية في أعلى صورها وأرقى أشكالها. هؤلاء الإسلاميات الحاصلات على أعلى الدرجات العلمية والمطلعات أيضا على الفكر الغربي بمدارسه المختلفة وعلى جميع الشبهات والافتراءات التي أطلقها المستشرقون أولا ثم تلقفها العلمانيون واللا دينيون وبعض الفنانين ممن لا خلاق لهم، هؤلاء الإسلاميات ممن شهدوا بكذب هذه الافتراءات سواء على مستوى الفكر أو المضمون .. هؤلاء الإسلاميات اللاتي يقفن كحجر عثرة في مشروع التشويه الإعلامي باعتبارهن إناثا أيضا ولم يرين كل هذه الثغرات كان لابد للعلمانيين من إيجاد فلسفة تبرر انضمامهن للمشروع الإسلامي.

تقول عايدة سيف النصر الناشطة في مركز دراسات المرأة الجديدة: (النساء الذين ينجذبون إلى التوجه الإسلامي وينشطن باسمه لا يقمن بذلك من زاوية التحرر وإنما كشكل من أشكال الوعي الزائف)، وتضيف: (النساء المسلمات لا يمكن أن ينسين أجسادهن ويقدمن على طبق من ذهب فكرة للقوالب النمطية الغربية بأن

المـرأة المـسلمة تبحـث عـن هويـة مفقـودة)[1]، النـساء المسلمات لا ينسين أجسادهن لأنهن يحافظن على الستر والعفاف، أما إبـراز الجسد بـالحلي والعـري فهـو نـسيان الجسد وبالطبع فالسيدة سيف النصر لا تجد أي غضاضة في وصف الإسلاميات بالوعي الزائف حتى تبرر الانجذاب القوي للنساء للمشروع الإسلامي.

أما جيهان أبـو زيـد الناشطة والمتحدثة الأساسية في مركـز بنـت الأرض فتـبرر إيمـان النـساء بالأفكـار الإسلامية بقولها: (التوجهات الإسلامية جزء لا يتجزأ من الموجة العامة للنزعة الدينية المحافظة في مجتمعنا ويصعب تحديد من الذي شجع الآخر: الإسلام السياسي أم النزعة الدينية المحافظة؟ كلاهما يعود إلى تعقيد النضال من أجل قضايا المرأة، إذ ينظر كلاهما إلى المرأة نظرة أحادية الجانب .. المرأة هـي واجهة أفكـارهم وتتجـذب بعض النساء إليهم لشعورهن بخيبة الأمل إزاء كل شيء آخر وتجذبهن قدرة بعض قادة الحركة الإسلامية على الكلام والإقناع، إنهم يمدونهن بالإحساس بالهدف)[2]، وهكـذا فالنـساء خائبـات الأمـل، هـن مـن ينجـذبن للأفكار الإسلامية وهي نظرة سطحية وفارغة المضمون وتنم عن الإفلاس قبل أن تكون نظرة خبيثة للتشويه.

اعتراف وانصاف

الحقيقة أقوى من كل الأكاذيب مهما كانت ملفقة ومنمقة، فكل ما يحتاجه الإنسان كي يصل للحقيقة هو أن يكون صادقا في التعرف عليها وليس له هوى في تجنبها أو تجاهلها، وسوف نختم هذا المقال باعتراف منصف من باحثة أمريكية كانت تقوم ببحث عن النساء في الحركات الإسلامية وكان لديها تصور مسبق عن هؤلاء النساء تم استبداله بالكامل بمجرد لقائها ببعضهن وهي لم تعاند في الحق أو تبحث عن أي حجج واهية للتفسير كما تفعل النسويات من أصحاب الفكر العلماني والشيوعي.

تقول الدكتورة عزة كرم عن لقائها ببعض النساء الإسلاميات في مصر: (وبقدر ما كانت خبرتي مع هؤلاء النسوة مثيرة للإرباك فقد كانت ثرية، كـان ثراؤها ناتجا من إنني دنوت منهن وأنا محملة بالفكرة السائدة (المرتكزة على تصوراتي السابقة) بـأنهن يعـانين في الأساس من حالة جدية من الوعي الزائف وينبغي أن أعترف أنني دنوت منهن ويلازمني شعور بالشفقة الفوقية المختلطة بالخوف ألسن بالتأكيد متعاطفات مع الإرهابيين؟ لقد تحدثت مع نساء عديدات ينتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين ومع عدد قليل من المنتميات لجماعة الجهاد وبعد انتهاء مقابلاتي معهن شعرت بأنني ذليلة وغاضبة لأنني سمحت لنفسي كباحثة ناشطة أن أحكم عليهن قبل دراستي لهن)[3].

كلمات بسيطة واضحة تؤكد الحقيقة الناصعة بأن النساء وهن أدرى بما يحقق سعادتهن ومصلحتهن يرين في المشروع الإسلامي النموذج الذي يحقق ذلك ولذلك انخرطن في العمل لأجله مع اختلاف في بعض التفاصيل الصغيرة بين مجموعة إسلامية وأخرى طالما أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المرجعية الأولى والأساسية للمشروع.

جيش المختار عنوان طائفي جديد بالعراق

أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

كان من بركات الاحتلال الأمريكي للعراق تكوين جيش المهدي الشيعي في العراق بقيادة مقتدى الصدر، هذا الجيش الذي جسد أبشع صور الطائفية على الواقع تطبيقاً للرؤية الطائفية المقيتة في الكتب الشيعية والصفوية، فقد كان جيش المهدي المسؤول الأكبر عن الحرب الطائفية في العراق ضد السنة من العراقيين والفلسطينيين، وقد شملت طائفيته حتى بعض مخالفيه الشيعة وعلى رأسهم عبد المجيد الخوئي والذي

(١) دكتورة عزة كرم، نساء في مواجهة نساء، ترجمة الدكتورة شهرت العالم، ص ١٦٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٦٦.

(*) كاتب أردني.

قتله جيش المهدي في الصحن الحيدري ومثلوا بجثته لمزيد من البركة!!

ويكفي لنعرف بشاعة الرؤية الطائفية التي تستبطنها هذه الميليشيات الطائفية الشيعية حتى أنها تجعلها عنواناً لها كجيش المهدي هو قراءة الرواية التالية حول الأعمال التي سيقوم بها المهدي الشيعي حين ظهوره، فروى أو كذب الطوسي في كتابه الغيبة على جعفر الصادق أنه قال: «إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلا السيف ما يأخذ منه إلا السيف. ومايستعجلون بخروج القائم والله ما لباسه إلا الغليظ وما طعامه إلا الشعير الجشب. وماهو إلا السيف والموت تحت ظل السيف»، وروى عنه أو افترى عليه قوله أيضاً: «يجرد السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجاً، فأول ما يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة وينادي مناديه: هؤلاء سراق الله، ثم يتناول قريشاً فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف».

وليست هذه روايات تاريخية مكذوبة بل هي عقائد ثابتة وأمنيات منتظرة، فهذا أعقل شيعة العصر محمد باقر الصدر مؤسس حزب الدعوة العراقي وصاحب الكتب المتميزة «فلسفتنا»، «اقتصادنا»، يعلق على هذه الروايات وغيرها في كتابه الطائفي «تاريخ ما بعد الظهور» أي ظهور المهدي، فيقول: «إننا يجب ألا نرتاع من اختصاص القتل بالمسلمين لأن هذا هو المطابق تماماً للقواعد الإسلامية العامة، والتخطيط الأهلي العام»!! (ص ٥٨٠). وهذه الرؤية الشيعية الطائفية للمهدي هي حقيقة الدور الذي يقوم به جيش المهدي في العراق اليوم بقيادة مقتدى الصدر مهما حاول الظهور بمظهر المعتدل والوطني، ومن شاء أن يعرف تفاصيل رؤية الشيعة لمرحلة المهدي فليطالع كتاب «المخطط الإجرامي لإبادة أمة الإسلام تحت مسمى: خروج الإمام المهدي!!» للأستاذ منذر عبدالله الشريف.

أما اليوم فيظهر لنا من العراق عنوان طائفي جديد وهو جيش المختار، ففجأة في ٢٠١٣/٢/٤ يعلن واثق البطاط الأمين العام لحزب الله العراقي عن تأسيس جيش المختار والذي «سيكون سَنَدا لتوجهات الحكومة المركزية في محاربة الفساد والمفسدين ومواجهة التنظيمات الإرهابية كالقاعدة وما يسمى بالجيش العراقي الحر» بحسب تصريح البطاط، وهذا بعد مرور حوالى شهر على الحراك السني في العراق!!

وفعلاً في ٢٠١٣/٢/٢٤ يعلن جيش المختار عن أولى عملياته بتبني عملية هجوم مسلح استهدفت عددا من البعثيين السنة في مناطق من بغداد وديالى، وتوعد بمواصلة عملياته حتى تصفية آخر بعثي سني!! حيث تم اغتيال ثمانية من القيادات البعثية السابقة والتي خرجت على التقاعد منذ فترة، وتم قتلهم قرب منازلهم في ديالى، وقد وردت للأجهزة الأمنية معلومات عن نية جيش المختار تنفيذ عمليات في مدن: سامراء بمحافظة صلاح الدين، والصويرة في واسط، والإسكندرية شمالي محافظة بابل، وفي قرى تابعة لمحافظة ديالى.

وفي مناطق السيدية والعامرية السنية، تم تصفية مجموعة من الضباط السنة بمسدسات كاتمة للصوت.

وقد قامت مليشيا جيش المختار الشيعية بتهديد أهالي منطقة حي الجهاد في بغداد بالقتل إذا لم يتركوا منازلهم، من خلال توزيع رسائل على منازل السكان السنة مضمونها: نحن لكم يا أهل السنة في حي الجهاد، نحن قادمون لكم، ارحلوا فقد حانت ساعة الصفر، يا أعداء أهل البيت» وأرفق مع كل رسالة رصاصة، في موجة تهجير طائفية شيعية ضد السنة تحت سمع وبصر حكومة المالكي.

وتتردد أخبار وأنباء عن دخول قوات من الباسيج الإيراني للعراق للتصدى المبكر للحراك العراقي السني وذلك تحت غطاء جيش المختار، لتصحيح الخطأ الذي حدث في سوريا بالتدخل الإيراني العسكري المتأخر قليلاً !!

وبعدها بأيام يُنشر مقطع مرئي للبطاط يبشر فيه بنيته غزو السعودية وتحرير الحرمين الشريفين لقرب

ظهور المهدي!! وهذا التصريح إذا جمع مع الوقفة الباسلة لحزب الله في لبنان لمساندة بشار الأسد في إبادة الشعب السوري يدلنا على حقيقة المقاومة الشيعية وبوصلتها.

وكما هو الحال في لبنان فإن تبعية حزب الله العراقي أيضاً هي لإيران فقد صرح البطاط لصحيفة الشرق الأوسط قبل أيام «إن منظومة حزب الله سواء بفرعها اللبناني أم العراقي ترتبط مباشرة بالسيد الولي الفقيه آية الله خامنئي». كما أني حاصل على شهادات عليا، منها ماجستير علوم عسكرية من جامعة طهران وبكالوريوس قانون من جامعة الكوفة».

ويبقى أن نتعرف على سيرة المختار الذي سميت هذه الميلشيات الطائفية باسمه لندرك مدى بشاعة طائفية الرؤية التي تحرك هذه الجماعات والتي تترجم على الأرض بجرائم وكوارث، ورغم أن سيرة المختار وأفكاره تتصادم مع الشيعة وعرف هو وأتباعه باسم الكيسانية، فإن الشيعة تبجله وتوقره فقط لكونه حارب الأمويين وبطش بهم في عدة معارك، لأن قتل السنة يغفر له ذلك.

المختار ابن أبي عبيد الثقفي، كان ناصبيًا مغالياً في عداوة علي بن أبي طالب، ثم تحول وأصبح شيعياً مغالياً، فادعى المهدوية في محمد بن الحنفية – ابن علي بن ابي طالب- الذي تبرأ منه ومن أكاذيبه، ثم انقلب على ابن الحنفية فادعى النبوة ونزول الوحي عليه وأسجع كلمات كفرية وكان يتعاطى الكهانة، ولهذا كفره العلماء وكانوا يعتبرونه كذاب ثقيف الذي أخبر عنه النبي ﷺ حين قال: «يكون في ثقيف كذاب ومبير».

وكان ماكراً لئيماً فحين أراد أن يتخلص من التبعية والطاعة لابن الحنفية قال لجنده: إنا على بيعة المهدي ولكن للمهدي علامة وهو أن يضرب بالسيف ضربة فإن لم يقطع السيف جلده فهو المهدي، فلما سمع بذلك ابن الحنفية أقام بمكة خوفا من أن يقتله المختار بالكوفة.

وهذه السيرة الملوثة ثابتة في كتب السنة والشيعة ولكن الشيعة تبجله لموقفه الدموي من الأمويين، فها هو الخوئي المرجع الشيعي الكبير والمعاصر والذي يعدونه من أعلام الاعتدال يقول عن المختار في كتابه (معجم رجال الحديث ١٩/ ١٠٢): «والاخبار الواردة في حقّه على قسمين: مادحة وذامّة، أما المادحة فهي متضافرة، منها ...، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت، حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين. وهذه الرواية صحيحة.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (لا تسبّوا المختار، فإنه قتل قتلتنا، وطلب بثأرنا، وزوّج أراملنا، وقسّم فينا المال على العسرة)... ».

وختاماً: لا يمكن لمن أراد أن يفهم وقائع السياسة في العراق أن يتجاوز دلالات هذه الأسماء التاريخية التي يتلحف بها الشيعة وميلشياتهم، لأنها تترجم على الأرض إلى ذات الممارسات الطائفية التاريخية وستكون عاقبتها وخيمة ليس على السنة بل على الشيعة أنفسهم لأنهم يستفزون الغالبية السنية التي لا تقبل باستمرار هذا الظلم الطائفي، فالسنة عبر التاريخ استوعبوا وجود المخالفين لهم من الأديان كاليهود والنصارى، أوالطوائف كالشيعة والدروز، لكنهم لا يتحملون الخيانة والظلم منهم.

وملاحظة أخيرة: أليس من العجيب أنك لا تجد من الأصوات العلمانية أحداً ينكر على هذه الميلشيات الشيعية الطائفية خلطها الدين بالسياسة ولا نزعتها الطائفية التي تهدد نسيج المواطنة في العراق ولا دمويتها وجرائمها المنافية لروح القانون والسلمية كما يفعل الإعلام العلماني بشقيه اليساري والليبرالي ضد الأحزاب والجماعات الإسلامية السنية، مما يثير آلاف علامات الاستفهام عن تناقض هذا الموقف العلماني!!

أهل السنة في إيران

عرض: أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

كتاب «أهل السنة في إيران» هو الإصدار رقم ٤٦ من الإصدارات الشهرية لمركز المسبار للدراسات والبحوث، الذي يديره الإعلامي السعودي تركي الدخيل، وتتناول هذه الإصدارات الحركات الإسلامية وهي بالأساس من خلال استكتاب عدد من الباحثين حول جماعة أو تيار محدد ولا تتاح هذه الإصدارات إلا للمشتركين، ولكن المركز طوّر سياسته بطرح نسخ تجارية من كتبه بعد مرور أكثر من سنة على نسخة المشتركين، لكن النسخة التجارية لا تحتوي على جميع فصول الكتاب الأصلي، فكتابنا هذا صدرت نسخته للمشتركين في ٢٠١٠/٩ أما طبعته التجارية فصدرت في ٢٠١٢/١، ونسخة المشتركين كانت تحتوي على ١١ دراسة بينما النسخة التجارية احتوت على على ١٠ دراسات فقط.

أهل السنّة في إيران

المسبار

تأتي أهمية هذا الكتاب من موضوعه وليس من مادته، وللأسف فإن هذا الموضوع الهام لا تتوفر في المكتبة العربية عنه إلا بضعة كتب يمكن سردها كالتالي:

١- أهل السنة في إيران، لعبد الحق البلوشي، إصدار المكتبة الأثرية في الزرقاء بالأردن في تسعينيات القرن الماضي وهو في عداد الكتب المفقودة الآن.

٢- أحوال أهل السنة في إيران، لعبدالله الغريب، صدر في التسعينيات أيضاً وأعيد طبعه مؤخراً.

٣- الخميني الوجه الآخر، للدكتور زيد العيص، يحتوي على فصل خاص بأحوال أهل السنة.

ولليوم لا تزال المكتبة تفتقد لكتاب شامل وموثق بتاريخ أهل السنة في إيران وحجمهم وتوزيعهم الجغرافي والعرقي.

وكتاب هذا الشهر يتناول موضوعا هاما جدا خاصة في هذه المرحلة ولكنه لا يحقق المطلوب تجاه هذه القضية بل لعله يضر بهذه القضية الهامة من خلال طريقة منهجية تناول هذه القضية

(*) كاتب أردني.

المحورية، وتزداد خطورة هذا القصور في تناول هكذا قضية مهمة إذا علمنا أن مثل هذه الكتب تشكل وعي كثير من النخب السياسية والإعلامية والثقافية خاصة مع ندرة الكتب في الموضوع.

من مظاهر القصور والخلل في طريقة ومنهجية معالجة موضوع الكتاب هو إيراد أرقام ونسب متناقضة لحجم ونسبة أهل السنة مما يبلبل القارئ ويحيره، فبعض الباحثين يورد أرقاما ونسبا تروجها السلطات الإيرانية بأنهم في حدود ٨ ٪ من سكان إيران لتقليل حجم أهل السنة وبالتالى تحجم من دورهم وتأثيرهم وتمنعهم من حقوقهم بعدد معين من النواب والمحافظين والوزراء، وباحثون آخرون يؤكدون أن نسبتهم بين ٢٠ و ٣٠ ٪ من السكان وأن عددهم من ١٤ – ١٩ مليون سني من أصل ٧٠ مليون إيراني.

ومن مظاهر القصور والخلل في طريقة ومنهجية معالجة قضية أهل السنة في إيران استكتاب كتاب شيعة مناصرين لإيران وحزب الله مثل: اللبناني د.طلال عتريسي، وعلي الحسيني من العراق، وعباس المرشد (أخ من أم لعلي سلمان زعيم جمعية الوفاق) من البحرين، للحديث عن قضية سنة إيران!!

فوجدنا عتريسي يقوم بترديد دعاية إيران بأن نسبة سنة إيران ٨ ٪، وحين يتناول تاريخ إيران يقدمه كالتالي: إيران كانت إمبراطورية فارسية ثم ينتقل للحديث عن الدولة الصفوية وإيران في العصر الحديث، وهكذا بكل بساطة يتم القفز عن ٩٠٠ سنة من تاريخ إيران السني وكأنه شيء تافه لا قيمة له!!

أما الحسيني ففي كتاب عن سنة إيران يجعل اضطهاد سنة إيران – والتي رصد عددا من مظاهرها- من السلطة الطائفية أقل من معاناة المعارضين الشيعة الإيرانيين!! وأن معاناة السنة لها عدة أسباب أكبرها القومية الفارسية وخليط من الأسباب، الشيعية إحداها فحسب!!

أما المرشد فيقدم دراسة عن قيادات أهل السنة المعاصرين ليخلص إلى أنها تلقت علومها خارج إيران وبذلك فهو يطعن من طرف خفي بأن هؤلاء القيادات يتم توجيههم من خارج إيران!!

هذه هي خلاصات المشاركات الشيعية في كتاب عن قضية أهل السنة في إيران، وهذا هو خلل بوصلة دراسات المراكز العلمانية، قضايا كبرى ومعالجات عرجاء تفرز سياسات عوراء ضررها أكبر من نفعها!!

والمظهر الثالث لهذا القصور والخلل في منهجية تناول قضية أهل السنة إغفال ذكر أصل القضية وهو أن السنة هم الأصل في سكان إيران وأنهم لم يتشيعوا إلا بالحديد والنار بواسطة الصفويين التركمان الذين تشيعوا لإعطاء مبرر لنزاعهم مع أبناء عمومتهم الأتراك العثمانيين، وهو ما أغفل الكتاب تأصيله وتفصيله رغم أنه أصل معاناة واضطهاد السنة في إيران عبر العقود الشيعية.

والمظهر الرابع لأوجه الخلل في هذا الكتاب غياب أهل القضية والمختصين الحقيقيين، فليس في الكُتاب السنة الثمانية الذين شاركو في هذا الكِتاب إلا شخص واحد من سنة إيران!! والبقية ليسوا من إيران ولا من المختصين بهذا الموضوع:

فالدكتور رضوان زيادة (سوري) رغم أكاديميته المتميزة إلا أن الموضوع خارج اهتمامه ولذلك كانت ورقته (أزمة الأقليات السنية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية) لا جديد فيها وهي معتمدة على أبحاث ومقالات منشورة في الإنترنت.

وبحث د.إدريس لكريني (مغربي) بعنوان (تدبير التنوع المجتمعي في إيران ووضع السنة) لا جديد فيه وهو يقوم على تنبيه إيران لضرورة العدل

مع أهل السنة لتتجنب القلق والاضطراب الداخلي!!

أما ورقة علي لاي (تونسي) والتي كانت بعنوان (أهل السُّنة والجماعة في إيران) كسابقاتها لا جديد فيها عن ما هو منشور ومعروف عن أحوال أهل السنة، بل يقع في خطأ تاريخي كبير بتسنين الشيخ خزعل الكعبي حاكم الأحواز التي احتلتها إيران الشاهنشاهية وتواصل إيران الملالي احتلالها!!

وكذلك ورقة (موجز حاضر السنة في إيران) لعمران نزال، وورقة (جند الله في إيران ثورة شعبية ذات ميول سلفية) لمحمد العواودة (أردنيان) لم تضيفا جديداً أيضاً سوى ترتيب بعض المعلومات المنشورة.

أما المشاركة المتميزة فهي ورقة محمد حسن فلاحية وهو إيراني من عرب الأحواز والتي كانت بعنوان (التأثيرات الخارجية على السنة في إيران)، والتي ناقش فيها مزاعم أحد الباحثين الإيرانيين المختصين بقضايا العرقيات والأديان بإيران وهو حميد أحمدي.

حيث يزعم حميدي أن القوى الدولية هي التي افتعلت قضية الشعوب في إيران ومنها قضية أهل السنة، ويفند فلاحية هذا الزعم بأنه تجاوز لكل تاريخ الحرمان والمعاناة الواقعة على سنة إيران.

أما عن وجود دور للشيوعية واليسار بين الشعوب الإيرانية ضد النظام فهذا سببه أيضاً سياسات نظام الملالي الطائفية والظالمة التي فتحت المجال لتدخل الآخرين سواء الروس أو الأمريكان.

قدم فلاحية معلومات جديدة عن الخلفيات اليسارية لبعض الأحزاب التي تتواجد بين قوميات السنة المضطهدة في إيران، ثم استعرض الأحزاب القومية والليبرالية بين قوميات السنة.

وفصّل في التيارات الإسلامية السلفية والتقليدية لسنة إيران وعلاقاتهم بامتداداتهم القومية في باكستان أو الفكرية السلفية بالسعودية مثلاً.

وتأتي الورقة الأخيرة في النسخة التجارية للباحث السعودي أحمد الحمدي (الملف الحقوقي لسُنَّة إيران، وضبابية الأرقام وكابوس البقاء)، وهي ورقة جيدة فيها معلومات عن مناطق تجمعات أهل السنة ومذاهبهم الفقهية والعقدية.

أما الورقة المحذوفة من النسخة التجارية فهي ورقة مهمة بعنوان (العجم السنة في الخليج: التميز والفاعلية) للدكتور عبدالصمد بلحاج، وهو موضوع مهم والكتابة فيه نادرة، ويوضح أن هجرة العجم سنة وشيعة من إيران كانت بسبب الاقتصاد والدين، وبدأت أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وهم يتواجدون في غالب دول الخليج وليست هناك إحصائيات دقيقة لهم، لكن العجم السنة لا يشكلون قلقاً أو خوفاً بتبعيتهم لإيران بخلاف العجم الشيعة، وقد أصبحوا مواطنين في دولهم ولهم نواب في البرلمان بالكويت.

في الختام كنا ننتظر من مركز متخصص بالحركات الإسلامية أن يقدم لنا كتاباً متميزاً عن سنة إيران بدلاً من تكرار المعلومات بين أوراق الكتاب نفسه من جهة وتكرار المعلومات المنشورة عن سنة إيران في الإنترنت، لكن قد يكون للكتاب ميزة في أنه الكتاب المتوفر حالياً عن سنة إيران!!

هل يسمع أحد من الطرفين!

قـالوا: الإيرانيون لديهم مشروع مع العراق ومع سوريا وحزب الله، وهم الآن يقاتلون أهل السنة في سوريا ويضربون حتى قبر ومسجد عمر بن عبد العزيز، والقناصة يقولون: اقتل سنيًا تدخل الجنة ... نهوض مصر هو الذي سيوقف إيران عند حدها، لأن إيران تتمدد لغياب الرأس والعقل والقلب الذي يجمع العالم العربي، ولذلك فالعالم العربي اليوم مباح أمام إيران وأمريكا والصهيونية، ولذلك فإن نهوض مصر هو حجر الزاوية والأساس الذي سيجمع حولها العالم العربي والشرق الإسلامي وهنا يكون بداية النهوض.

د.محمد عمارة –

المصريون ٢٠١٣/٣/٤

وأين استراتيجياتكم؟

قـالوا: ليست هناك أي قناة فضائية إيرانية لها مصداقية تجاه البحرين. إيران لديها مشروع ضد البحرين، وعملت منذ بداية الثمانينات في عملية متواصلة من دون انقطاع على مشروع تصدير الثورة الخمينية إلى البحرين، وعملت ضمن استراتيجيات معينة، وغيرت وبدلت استراتيجياتها إلى أن استطاعت أن يكون لها حضور سياسي وقوة تعمل في الشوارع والقرى في البحرين.. وهي تعمل عبر الشوارع الرئيسية اليوم في نشر بعض الرعب والإرهاب.. وهذا اليوم يدخل ضمن منظومة المصالح الإيرانية التي تريد إدخال المنطقة في المقايضة أحيانا على الشأن السوري، وفي المقايضة على شؤون أخرى والشأن النووي ... فالبحرين ضحية إيران وضحية المشروع الإيراني في المنطقة، ونتمنى أن يستدرك العالم الغربي أن العداء الإيراني للبحرين لا يزال قائما ومستمرا، والشعب البحريني يعاني من هذا العداء.

وزيرة الدولة لشؤون

الإعلام البحرينية، سميرة إبراهيم بن رجب

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٣/٥

جنبلاط يفند فزاعة الأقليات

قـالوا: أخشى كثيرا عندما نقرأ المقالات المتعددة والمتنوعة والمشبوهة من فؤاد عجمي وغيره. أخشى ما أخشاه من أنهم يشجعون في المنطقة أو يريدون عن قصد تغيير خارطة المنطقة التي رسمتها اتفاقية سايكس بيكو، وإدخال المنطقة في دوامة الصراعات المذهبية وربما القومية، فعلينا ألا ننسى قضية الأكراد في سوريا.

وليد جنبلاط –

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٣/٧

عمرو خالد + علي جمعة = ؟

قـالوا: أعلنت مؤسسة صناع الحياة برئاسة الدكتور عمرو خالد تقلد الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية السابق رئاسة أكاديمية الداعية المعاصر والتي أسستها المؤسسة وتهدف إلى تسليم رسالة الدعوة إلى رجال الأزهر الشريف ليقوموا بدورهم في تحصين الشباب ضد الأفكار الهدامة والمستوردة من الخارج وحتى تتم توعية الشباب بالإسلام الوسطي الحنيف.

يـــذكر أن الأكاديميـــة تقبـــل المتفـــوقين مـــن خريجـي أصـول الـدين فـى جامعـات الأزهـر وتقـدم لهـم تـدريبات نظريـة وعمليـة ويـشارك في التـدريس بهـا علمـاء مـن جميـع دول العـالم ويحـصل المتخـرج علـى شهادة معتمدة دوليا.

المصريون ٢٠١٣/٣/٤

النبي وآل بيته ليسوا من الصحراء!!

قـــالوا: جـذور التـشيع هـي عربيـة بالـضرورة، وبالتحديـد جـذور زراعيـة نهريـة مقابـل طغيـان الـسمات الرعويـــة والتجاريـــة والـــصحراوية علـــى التـــسنن المـذهبي، في ضـوء جملـة مـن المعطيـات الـتي قـدمها. أولى تلـك المعطيـات أن التـشيع يحتفـي بظـاهرة الأم والابـن الـشهيد أكثـر مـن الأب، وهـي ظـاهرة لهـا جـذور تموزيـة قديمـة مرتبطـة بـالطقوس الزراعيـة النهريـة الشمـسية وبالتـالي بالبيئـة الـشرقية في الأحـواض النهريـة كمـا هـو الحـال في مـصر والعـراق القديم، مما يفسر أيضاً ازدهار المسيحية.

موفق محادين –

العرب اليوم ٢٠١٣/٣/٧

فرع جديد لجيش الإمام!

قـــالوا: الخليـة كانـت تهـدف إلى تأسـيس جـيش الإمـام للقيـام بأعمـال عـسكرية وإرهابيـة داخـل البحـرين، تم تحديـد ١٢ بحرينيـا مـن ضـمن الخليـة، تم القـبض علـى ثمانيـة مـنهم؛ خمـسة مـن داخـل الـبلاد، بينمـا تم القـبض علـى ثلاثـة مـنهم في سـلطنة عمـان، و٤ مـن مواطنيهـا ضـمن الخليـة فـارين خـارج المملكة.

أعـضاء الخليـة في البحـرين تولـوا مهـام تـوفير مخـازن للأسـلحة لاسـتخدامها عنـد التحـرك، وتجنيـد شـباب بحـرينيين ليكونـوا جنـودا في جـيش الإمـام للتحرك عند ساعة الصفر.

اللواء طارق الحسن،

رئيس الأمن العام البحريني

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٢/٢٠

أول الرقص حنجلة!

قـــالوا: سـوف يـتم إنـشاء ٦ مـدارس إيرانيـة في بغـداد، الـسليمانية، الكاظميـة، النجـف، البـصرة، وأربيـل ونعمـل بجهـد لكـي يزيـد هـذا العـدد في بنـاء المدارس الإيرانية في العراق.

السفير الإيراني «حسن دانايي فر»،

موقع الجبهة الأحوازية ٢٠١٣/٢/١٥

حتى بنغلاديش!!

قـــالوا: زار بـنجلاديش في ديـسمبر الماضـي فريـق مـن أربعـة عـشر عـضواً مـن الاتحـاد الـدولي للقـضاء (أطلقـت عليـه وسـائل إعـلام بـنجلاديش اسـم «الفريـق التركـي»)؛ وذلـك لمراقبـة وقـائع المحاكمـة الـتي تتولاهـا محكمـة جـرائم الحـرب الدوليـة الـتي يُحـاكم أمامهـا قـادة الجماعـة الإسـلامية في بـنجلاديش. وقـد أعـدَّ هـذا الفريـق الـذي ضـم محـامين مـن تركيـا وبلجيكـا تقريـراً نـشر يـوم ٢٢ ينـاير الماضـي، أكـد فيـه أنـه يجـب إيقـاف حكـم الإعـدام علـى مولانـا «أبـو الكـلام آزاد» والمحاكمـات الأخـرى؛ نظـراً لأن بـنجلاديش لا تـؤمِّن محاكمـة عادلـة للمـتهمين، مـضيفاً أن علـى بـنجلاديش إحالـة القـضية الـتي تخـص «أبـو الكـلام آزاد» المحكـوم عليـه بالإعـدام غيابيـاً إلى المحكمـة الجنائيـة الدوليـة؛ لأن بـنجلاديش دولـة طـرف في «نظـام رومـا الأساسـي». ويؤكـد التقريـر أن المحاكمـة لا يمكـن أن تطـابق المعـايير الدوليـة؛ لأن القاضـي والمـدعي العـام ولجنـة التحقيـق عُيِّنـوا كلـهم مـن قبـل الحكومـة، والمتهمـون هـم سياسـيون حزبيـون مـن المعارضـة، ومحاكمـة بهـذا الـشكل لا يمكـن أن تكـون خاضـعة للمعـايير الدولية.

مجلة المجتمع - ٢٠١٣/٢/٢٣

شيخ الأزهر لوفد كنسي أمريكي: لا تمكنوا العلمانية من الدين

فتحي مجدي – المصريون ٢٠١٣/٣/١١

أكد الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر خطورة التساهل في إضفاء المشروعية على القوانين التي تصادم الفطرة، موصيًا وفد الكنيسة الإنجيلية بالولايات المتحدة بـ «ألا تمكنوا العلمانية من الدين، بل اجعلوا الدين هو الحاكم على العلمانية، وكفانا ما فعلته العلمانية بالحضارة الغربية».

وحث الطيب أعضاء الوفد - الذي يمثل الكنيسة الإصلاحية بالولايات المتحدة وكندا ، برئاسة القس جو بلوت - بأن يظهروا للناس في عظاتهم الدعوة إلى الأخلاق الحسنة، وأن يبينوا للناس الآثار السلبية السيئة للخروج عن الأخلاق؛ «فالدين والأخلاق وجهان لعملة واحدة، ولا يمكن انفصال أحدهما عن الآخر؛ فالقتل والزنا - بكافة أشكاله - والسرقة وكل القبائح مرفوضة في الدين والخُلُق معًا؛ فما يأمر به الخُلُق الإنساني يأمر به الدين، وما ينهى عنه كذلك، والعكس صحيح».

وقال شيخ الأزهر، إنه باستقراء التاريخ في القديم والحديث تبين أن أسلوب فرض عقيدة بعينها، أو مذهب معين عبر القوة ؛ سواءً أكانت قوة القهر أم قوة المال «شيء تأباه الطبائع السليمة والعقول المنصفة».

واستدرك قائلاً: «فالذي يريد فرض العولمة بالقوة، أو يسعى جاهدًا لشراء ضمائر الناس، واستغلال فقرهم واحتياجهم لإغرائهم بالتحول عن عقائدهم، كل ذلك محكوم عليه بالفشل، اللهم إلا إذكاء الضغينة والفتن بين الشعوب، وهذا يرفضه الأزهر رفضًا قاطعًا؛ فلا فرق عندنا بين محاولة تغيير عقائد الناس بالقوة أو باستغلال الحاجة».

وأبدى رئيس الوفد سعادته بكلام شيخ الأزهر؛ لأن «ذلك جاء تأكيدًا على رغباتهم التي يريدون بثها، وتمنوا أن يعمّ السلام العالم كله».

وفي رد على سؤال عن حرية ممارسة غير المسلمين لشعائرهم في مصر، أوضح الطيب أن المصريين من أصحاب الديانات السماوية الثلاث يمارسون شعائر دينهم بكل حرية، وقد أصر الأزهر على النص على ذلك في الدستور الجديد، وتم له ذلك، فجاء نص الدستور: «ولغير المسلمين من أصحاب الديانات السماوية الثلاث الاحتكام إلى مبادئ شرائعهم في أحوالهم الشخصية، ووفي شئونهم الدينية، وفي اختيار قياداتهم الروحانية»، وذلك لتحقيق حرية أصحاب كل دين في عاداتهم وزواجهم وشعائرهم، وهذا انطلاقًا من تعاليم الإسلام التي تنص على وجوب ترك أصحاب الديانات الأخرى وما يعتقدون.

وأشار إلى أن القرآن الكريم يعتبر أن

الأديان كلها دين واحد؛ وهو الذي حمله آدم عليه السلام، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمد ﷺ، ولهذا يعتبر القرآن نفسه مصدقاً لما جاء بالتوراة والإنجيل، واصفاً كلًا منهما بأنه نور وهدى للناس، مشيداً فضيلته بالعلاقة بين الإسلام والمسيحية في مصر؛ فإنه برغم كل ما يحدث بين أتباعهما من أمور فإن العلاقة بينهم تمثّل صخرة يتحطم عليها كل محاولات شق الصف.

وعلق القس إيميل زكي، من الكنيسة الإنجيلية المصرية، على ذلك بأن المسيحيين في مصر يتمتعون بكامل حقوق المواطنة؛ فلا فرق بين مسلم ومسيحي في الحقوق والواجبات، وهم أمام القانون سواء، وأضاف إن هناك مجلسًا يسمى حوار الأديان يلتقي فيه المسلمون والمسيحيون بشكل مستمر، مؤكدًا على اعتزاز الكنيسة الإنجيلية بوسطية الأزهر على مدار العصور.

وفي إجابته على سؤال عن كيفية التحاور، أكد شيخ الأزهر أنه لا يؤمن بالحوار بين الأديان كعقائد؛ لأن العقائد مختلفة، ولكن الحوار يكون بين أتباع الأديان في كيفية التعايش السلمي بين الجميع، ناصحًا إياهم بالتعاون من أجل تحقيق التوازن النفسي والروحي بين البشر، وأن يكون الدين هو صاحب الصوت الأعلى في الحضارة الغربية بعد أن عَلَتْ الأصوات المادية والشيطانية.

لماذا استقال البابا؟

أحمد أبو دقة – مجلة البيان ١٤٣٤/٤/٢هـ

أعلن الفاتيكان أن البابا بينيديكت السادس عشر ينوي الاستقالة من منصبه في ٢٨ فبراير الجاري، هذا الإعلان الذي جاء باللغة اللاتينية و ألقاه المتحدث باسم الكرسي الرسولي كان مفاجئة تحدث للمرة الرابعة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية. وتدور ثلاثة أسباب ربما حول هذا الموقف من قبل البابا بينيديكت السادس عشر هو بابا ألماني جلس على كرسي الباباوية في ١٩ أبريل ٢٠٠٥م. ويحتفل بميلاده الـ٨٦ في السادس عشر من أبريل المقبل. ومن هذه الأسباب بحسب بيان الفاتيكان أن البابا لم يعد يملك « القوة» المطلوبة صحيا بسبب كبر سنه.

وستلقى المستشارة الألمانية انجيلا ميركل خطابا اليوم بهذه المناسبة، ومن القضايا الأخرى التي اعتبرت أحد أسباب استقالة البابا وهي فضيحة التحرش الجنسي بأطفال من قبل بعض القساوسة.

ويجري انتخاب البابا حسب خطوات عدة أولها استدعاء الكرادلة ومن ثم المجمع السري حيث يجري في سرية مطلقة داخل كنيسة السيستين ويقوم الكرادلة بالنقاش خلف أبواب مغلقة في الفاتيكان حتى يتفقوا على إختيار كاردينال يصبح بابا وقد تستغرق عملية الانتخاب أياما.

شقيق البابا جيورغ راتسينغر قال أمس ان أسبابا صحية وراء استقالة الحبر الاعظم رسميا في الفاتيكان. وذكر أن طبيبه نصحه بعدم القيام برحلات طويلة وذلك لازدياد الصعوبات التي يواجهها البابا بسبب المشي مشيرا إلى انه بدأت تظهر عليه علامات التعب بسرعة.

بدورها قالت صحيفة «أرغومينتي إي فاكتي» الروسية، إن الفاتيكان لديه نظام راسخ لإبقاء أول شخصية فيه على العرش تعود تقاليده إلى عصور بعيدة. لذلك كان بإمكان بابا روما أن يقوم بأداء واجبه حتى في ظروف استنزاف قواه الحيوية .

وترى الصحيفة أن استقالة بنيديكتوس السادس عشر طواعية تعود لأمور كثيرة، ومن أحد تلك الأمور نمو السكان المسلمين في أوروبا. وهناك عامل سيكولوجي نفسي جلي للعيان يشهد

أن صورته كانت أقل بهجة بالمقارنة مع البابا السابق يوحنا بولص الثاني الذي حظى بشعبية فائقة في العالم أجمع.

وتعتقد الصحيفة أن الإيطاليين الذين تعاملوا مع جلوس بابا الفاتيكان على الكرسي بإسلوب بارد لكونه أول ألماني يجلس عليه، أثر في نفسه كثيرين، ويعتقد الخبراء الكثيرون أن الغالبية الايطالية في إدارة الفاتيكان قبلت البابا بنيديكتوس السادس عشر بنوع من البرودة، ما كان يجعله يواجه إجهادا نفسيا. وتذكر الصحفيون فورا بعض المشاهد الحساسة من سيرة حياته والتحاقه عام ١٩٤١م بمنظمة الشباب الهتلرية «هتلر يوغند»، وذلك بغض النظر عن أنه فر من الجيش الألماني عام ١٩٤٥ م وسلم نفسه إلى الحلفاء لدى اقتراب قواتهم من برلين.

وواجه البابا كذلك مشاكل مع العالم الإسلامي بسبب سلبية معاملته لعدد من القضايا المؤثرة الأمر الذي حد من النشاطات الدبلوماسية للبابا في منطقة الشرق الأوسط، بالإضافة إلى تأثيرات الاعتداء الجنسي على الأطفال ضمن وسط الاساقفة الكاثوليك. وكان البابا يحاول مرارا وضع رتوش عليها، لكنها ما زالت تظهر على السطح بين الحين والأخر. وشهد الفاتيكان مع مرور الوقت تشكل لوبي (جماعة ضغط) موجهه ضد البابا الألماني كان يروج سرا شائعات من مختلف الأنواع.

وتعزو الصحيفة كذلك إستقالة البابا أيضا إلى الانخفاض المطرد لنفوذ الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا الغربية في الآونة الأخيرة، بسبب تعزيز مواقع المسلمين في أوروبا لهجرتهم الهائلة إليها .

وتشير صحيفة معاريف العبرية إلى أن من أبرز المرشحين لخلافة البابا اثنان هما: الكاردينال بيتير توركسان من غانا المعروف بمعارضه في استعمال «العازل الذكري» خلال الممارسات الجنسية، والكاردينال اوسكار رودريغيز من هندوراس الذي كان قد اتهم اليهود بالوقوف وراء الكشف عما يعرف بفضيحة التحرش الجنسي بالأطفال في الكنيسة الكاثوليكية.

وتاريخيا هذا الحدث غير مألوف بالنسبة للكنسية الكاثوليكية التي يتبعها أكثر من مليار مسيحي في العالم، حيث إن آخر حادثة مشابهة كانت للبابا غريغوري الثاني عشر، الذي استقال في الرابع من (يوليو) العام ١٤١٥م، وكان ذلك وفقا لمبرراته لإنهاء انشقاق الكنيسة الكاثوليكية (والمعروفة تاريخيا بالانشقاق الغربي الأعظم)، والتي وصلت (آنذاك) إلى مرحلة مطالبة ثلاثة بالكرسي البابوي. وكذلك استقالة البابا سلستين الخامس العام ١٢٩٤م، عقب توليه المنصب بخمسة أشهر فقط. وجدير بالذكر أنه هو بنفسه الذي وضع المرسوم البابَاوي الذي يجيز استقالة البابا من منصبه.

وسجل التاريخ أيضا استقالة البابا بنديكت التاسع من منصبه العام ١٠٤٥م، بعد اتفاق مع خليفته غريغوري السادس على تسوية، لكن البابا غريغوري سرعان ما استقال بدوره على خلفية ذات الاتفاق، وخلفه البابا كليمنت الثاني، الذي سرعان ما توفي في العام ١٠٤٧م، ليخلفه بنديكت التاسع بنفسه مرة أخرى.

بعد حملات التنصير..
الجزائر تواجه حرباً سرية مع "القاديانية!"

سمية سعادة – مجلة المجتمع ٢٠١٣/٣/٩

لم تكد حملة المنصرين والشيعة تفتر وتستكين في الجزائر، حتى التحقت بها

«القاديانية» (الأحمدية).. وهي فرقة مارقة عن الإسلام، كفَّرتها المجامع والهيئات الشرعية في العالم الإسلامي؛ لما دعت إليه من كفر وضلال، ولما عُرفت به من خزعبلات وهرطقات ما أنزل الله بها من سلطان، إلا أنها استطاعت أن تتسلل إلى الجزائر عبر أشخاص أجانب اعتنقوا مذهبها، فاستغلوا جهل بعض الجزائريين بالإسلام، ونشروها بينهم على أنها دين «أحمدي» يدعو إلى السلام والتقوى، وينبذ العنف والتعصب، بينما هي فكر فاسد يسعى إلى ضرب الإسلام في مقتل، وتشكيك المسلمين في عقيدتهم.

ولمن لا يعرف «القاديانية»، فهي مذهب أرسى قواعده «ميرزا غلام أحمد» بـ«قاديان» الهندية سنة ١٩٠٠م، وبمساعدة الاستعمار الإنجليزي الذي نشب أنيابه في القارة الهندية بغرض إبعاد المسلمين عن دينهم وصرفهم عن الجهاد، والاكتفاء بـ«جهاد النفس»، و«الإخلاص للحكومة الإنجليزية»؛ لأن محاربة المستعمر - حسب «ميرزا» - لا يدين به إلا جُهَّال المسلمين! وقد تجرأ هذا المعتوه على الله ورسوله حينما اعتبر نفسه آخر الأنبياء، وأن محمداً «ﷺ» هو أفضل الأنبياء وأكملهم وليس آخرهم، وأنه أوحي إليه (ميرزا) بآيات تربو على ١٠ آلاف آية! وأن «قاديان» هي المقصودة بالمسجد الأقصى، وأن الحج إليها فريضة، وهي الثالثة بعد مكة والمدينة! ولم تقف هرطقات هذا الرجل عند هذا الحد، بل ادعى أن القرآن الكريم ومحمداً «ﷺ» وسائر الأنبياء عيَّنوا زمن بعثته ومكانها، وأن من يكذبه فهو كافر، ولن يتسع المقام لذكر الخزعبلات الكثيرة التي ألفها «ميرزا» وسماها ديناً «أحمدياً»، وما هو في الحقيقة إلا «دين» فصَّله على مقاس الإنجليز لينال رضاهم، ويفوز بحبهم.

المناظرات.. السبيل للترويج كشف مصدر موثوق لـ«المجتمع» أنه تم رصد شبكة من «القاديانيين» تنشط على محور ثلاث محافظات، وهي «بسكرة» (٤٠٠ كلم جنوب شرقي العاصمة)، و«غرداية» (٦٠٠ كلم جنوبي العاصمة)، و«الجزائر» العاصمة، يقودها بعض اللاجئين السوريين الذين فروا من بلدهم بسبب الوضع الأمني الخطير في سورية، واستضافتهم عائلات جزائرية، حيث يسعون إلى نشر المذهب «القادياني» بين الشباب الجزائري للزج به في متاهات هذا المذهب الخطير، ولم تحدد مصادرنا عدد أفراد هذه الشبكة، وما إذا كانت تتخذ مقرات خاصة لبعث نشاطها..

وفي السياق نفسه، أفادتنا مصادر أخرى عن وجود شبكة من «القاديانيين» تروِّج للمذهب بين المثقفين خاصة، تنشط في منطقة «عين مليلة» (٤٥٠ كلم شرقي العاصمة)، يقودها طبيب فلسطيني، بينما تنشط شبكة ثالثة على مستوى منطقة القبائل مثلما أفادنا به الشيخ محمد حاج عيسى، وهو داعية جزائري، حيث روى لـ«المجتمع» كيف اتصل به ثلاثة طلاب بجامعة «تيزي وزو» (١٠٥ كلم شرقي العاصمة)، في العشرين من أعمارهم، ينحدرون من بلدية «إبردوران» دائرة «بني يني»، وتبين للشيخ من خلال لقائه بهم أن هدفهم من الاتصال به «الشهرة» أكثر منه «إظهاراً للحق»، وهذا ما تأكد منه محدثنا عندما بلغه أن جماعة أخرى من نفس القرية اتصلت بالشيخ محمد الشيخ لمناظرته بعد أن زار منطقتهم.

وجدير بالذكر، أن معتنقي هذا المذهب يعوِّلون كثيراً على «المناظرات» والخصومات لنصرة ما يعتبرونه حقاً، أسوة بزعيمهم «ميرزا» الذي كان ينخرط في مناظرات تنتهي به إلى الإسفاف، ويضيف الشيخ محمد: إن هناك جماعة أخرى تكونت في «ذراع بن خدة» تقوم بتأدية الصلاة في بيت من دعاها إلى «القاديانية»؛ لأن أتباعها يعتبرون

المسلمين كفاراً لا تجوز الصلاة معهم.

وفي مساعيهم لنشر أفكارهم، يعملون على نشر المطويات والكتب التي تعرِّف بـ«القاديانية» على غرار كتاب «الجماعة الإسلامية الأحمدية»، والكتب التي تحاول الدفاع عنهم ككتاب «لماذا ينقمون منا؟»، وتعتبر منطقة «أزفون» من أكثر المناطق التي ينتشر فيها أتباع هذا الفكر الذين ازداد عددهم بعد أن استفادت قناة «أم تي أ العربية» الفضائية، لسان حال «الأحمدية القاديانية»، من تردد جديد على القمر «هوت بيرد»، وهو القمر الذي يستقبله سكان المنطقة كثيراً، ولما كانت هذه القناة تتحدث باسم الإسلام، فقد استطاعت أن تستقطب إليها الكثير من الناس وهم لا يعلمون أنها تدس السم في العسل، ويؤكد الشيخ محمد حاج عيسى الذي تلقى دعوة أخرى من طرف زعيم «القاديانيين» في القبائل لمناظرته، أنهم جادون في نشر مذهبهم في السر والعلن، وأن قناتهم الفضائية يشرف عليها «دعاة» فلسطينيون يحملون الجنسية «الإسرائيلية»، وأتباعهم من الفلسطينيين يمنح لهم الحق في الانضمام إلى الجيش «الإسرائيلي» رغم كونهم عرباً، وقد تحدثت بعض الصحف «الإسرائيلية» قبل مدة عن تجنيد ٦٠٠ شخص منهم. دعوة للمبايعة ومن الواضح أن قناة «أم تي أ العربية» التي تبث من بريطانيا على القمرين «نايل سات»، و«هوت بيرد»، استطاعت أن تستقطب إليها الكثير من الجزائريين الذين عجزوا عن فهم حقيقة أهدافها.

وفي محاولة لمعرفة مدى شعبية هذه القناة في الجزائر، وكيفية مبايعة «الأحمدية»، تقمصت مراسلة «المجتمع» شخصية امرأة جزائرية لمراسلة موقع «الأحمدية» فكان الرد كالتالي: «الحمد لله، القناة تحظى بمتابعة جيدة في الجزائر وفي غيرها من البلاد العربية بفضل الله تعالى»، وفي رد الموقع على كيفية الانضمام إلى الجماعة قال المشرف: «يمكنكم الاطلاع على شروط البيعة العشرة على هذا الرابط» مع إشارة إليه، «وكذلك أدلة صدق الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، والعقائد الأساسية التي جددها في الإسلام، والمفاهيم التي أرشد إليها، والأهم من هذا كله هو التوجه إلى الله تعالى بإخلاص الدعاء والاستعانة به واستخارته في هذا الأمر العزم، ومتى شرح الله صدركم واطمأن إليه قلبكم يمكنكم تعبئة استمارة البيعة وإرسالها إلى الموقع أو إلى عنوان المكتب العربي، لتصل بيعتكم إلى مولانا أمير المؤمنين الخليفة الخامس للإمام المهدي والمسيح الموعود، أيَّده الله بنصره في الموقع على الرابط التالي..»! جزائريون في المصيدة كما أعرب العديد من الجزائريين الذين اعتنقوا «الأحمدية القاديانية» عن أسفهم حينما تم حجب القناة عام ٢٠٠٨م على «النايل سات»، وقال جزائري يدعى «جمال» معلقاً على ذلك: في حقيقة الأمر هذا نصر لـ«الأحمدية» الطاهرة النقية، لأنه يدل على قصور أعدائها الفكري، وإفلاسهم تماماً في مواجهة الانسجام الفكري العقائدي للجماعة الإسلامية الأحمدية! وعبَّر «محمد»، وهو جزائري آخر عن حبه لأحد شيوخ القناة، قائلاً: أنا أحبك في الله يا أخي..»، وأتبعه بسؤال حول صلاة «الأحمديين» واختلافها عن صلاة المسلمين، راجياً الشيخ أن يوضح له طريقة الصلاة لأنه من الذين يستمعون القول ويتبعون أحسنه!

وأضاف: أنا مقتنع كل الاقتناع أن «ميرزا» هو الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، وأتمنى في يوم من الأيام أن أكون «أحمدياً»! ورد عليه الشيخ بقوله: ما دمتَ مقتنعاً بأن حضرة «ميرزا غلام أحمد» عليه السلام هو المسيح الموعود والمهدي، فما عليك سوى مبايعته، وذلك ببيعة خليفته، وهذا يتم بملء استمارة البيعة وإرسالها إلى أمير المؤمنين الخليفة الخامس نصره الله! والبيعة

هـي شـروط يوقـع عليهـا المنتمـي الجديـد إلى «القاديانيـة» بحيـث تلزمـه بتحـريم الجهـاد وتحريـف كـلام الله ورسـوله، ويرسـلها إلى قنـاة «الأحمديـة» أو إلى الموقـع الرسمـي لهـا. ويـروي جزائـري آخـر يـدعى «عبـدالعالي» لموقـع «الأحمديـة» كيفيـة اعتناقـه المـذهب قـائلاً: مـررت قبـل البيعـة بظـروف جعلـتني أتخلـى عـن فكـرة وجـود الله تعـالى (حاشـا لله)، ومـع هـذا كنـت أصـاحب السـلفيين، وكنـت أحتـار أمـام الكـثير مـن العقائـد، خاصـة قـصة آدم الـتي كنـت أراهـا عقيـدة ظالمـة للبشـر؛ كيـف يـدفع الله بالبشـرية جمعـاء إلى الـدنيا بعـد أن سـكنت الجنـة مـن جـراء خطـأ شـخص واحـد؟ إلا أنـني لم أتلـقَ سـوى الكـلام الفـارغ، كـأن يعيـدوا لـي القـصة مـن أولهـا لآخرهـا، أو أن يقولـوا: لا تخُـض في كـلام لـست أهـلاً لـه، وغيرهـا مـن العبـارات الـتي لا تحمـل حجـة أو دلـيلاً، فـصليت ركعـتين اسـتخرت فيهمـا الله وقلـت: إن كنـتَ موجـوداً حقـاً كمـا يـدعي المتـدينون فـأظهر نفـسك أو قُـدني إلى الطائفـة المختـارة والناجيـة حتـى أسـتطيع رؤيتـك أو الإحـساس بوجـودك، واسـتجاب الله الـدعاء وقـادني إلى طريـق أوصـلني إلى «الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة» فانـضممت إليهـا.. ويفتخـر «عبـدالعالي» لكونـه اسـتطاع أن يقنـع عائلتـه بـ«الأحمديـة»: لقـد هـدى الله تعـالى والـدتي وثلاثـة مـن إخـوتي إلى «الأحمديـة»، وكانـت مهمـة إقناعهم صـعبة جـداً؛ فلجـأتُ للـدعاء وتـذكرتُ رسـول الله ﷺ «كيـف صـبر وهـدى الآلاف مـن قطّـاع الطـرق والمـشردين في الـصحراء إلى الإسـلام، فعظـم مقامـه في نفـسي، تغـيرت حيـاتي كليـاً والحمـد لله! الإغـراء المـادي وبـنفس الأسـاليب الـتي اتبعهـا ويتبعهـا المنـصرون في الجزائـر لـرد ضـعاف الإيمـان عـن دينـهم، اعتمـد أتبـاع «القاديانيـة» علـى أسـلوب الإغـراء المـادي، خاصـة بـين الـشباب الـذي يعـاني مـن الفقـر والبطالـة، وفي القـرى والمداشـر الغارقـة في الجهـل، وفي هـذا الـسياق

ذكـرت صـحيفة «الفجـر» الجزائريـة نقـلاً عـن مـصدر جـد موثـوق أن خطـط الطائفـة «القاديانيـة» توسـعت لتـشمل إعـداد وتوزيـع منـشورات ومطويـات علـى شـباب «تيـزي وزو»، إلى جانـب إعـداد الكتـب والأشـرطة الـسمعية البـصرية وحتـى أشـرطة فيـديو الـتي تتحـدث عـن أفكـار الطائفـة وشـعائر منتسبيها، وتوزيعهـا عـبر أطـراف معاديـة للإسـلام للترويـج لهـا مقابـل منحهـا مبـالغ ماليـة ضـخمة، وتقـديم هبـات مـن نـوع سـيارات فـاخرة.. كـل هـذا مـن أجـل الترويـج لهـذه الفرقـة الـضالة المـضلة. وذكـر المـصدر نفـسه أن أتبـاع «القاديانيـة» دخلـوا إلى منطقـة القبائـل تحـت غطـاء «الجمعيـات الخيريـة»؛ حتـى لا توقـف الـسلطات زحفهـم، وحتـى لا يرتـاب النـاس مـن وجـودهم، وهـذا الغطـاء «الـشرعي» مـنحهم الحريـة في التحـرك، ونـشر أفكـارهم بـين مـن يلمـسون لـديهم ضـعفاً في الإيمـان، وقـد تمكنـوا مـن ترجمـة القـرآن الكـريم مـن العربيـة إلى الإنجليزية محرفاً، وتوزيعه بين أبناء المنطقة..

وكـشفت المـصادر نفـسها أن «إسـرائيل» سـاهمت بـشكل فعّـال في تـسلل أتبـاع هـذه الطائفـة إلى الجزائـر عـبر الوفـود الإنجليزيـة الـتي تـزور الجزائـر، وتـسهيل عمليـة تحركهـا ونـشاطها وتمويلـها بـالأموال لإغـراء الـشباب والفقـراء، وطباعـة المنـشورات والأشـرطة الـسمعية والبـصرية، وقـد حـذَّرت جهـات معنيـة بالموضـوع مـن خطـر تحـالف «المنـصِّرين» و«القاديـانيين» علـى منطقـة القبائـل الـتي أنهكتهـا الـضربات الموجعـة للمنـصرين الـذين فتحـوا كنـائس سـرية بهـا؛ هـدفها اسـتقطاب أكـبر عـدد مـن الـشباب. الجهـل بتعـاليم الإسـلام ويرجـع الـشيخ محمـد حـاج عيـسى اعتنـاق بعـض الجزائـريين «القاديانيـة» إلى أسـباب عديـدة، أهمهـا: الجهـل بتعـاليم الإسـلام، واكتفـاء أكثـر النـاس بمـا يـسمى إسـلاماً وراثيـاً تقليـدياً، وهـو إسـلام لا يقـي صـاحبه لا مـن النـصرانية ولا مـن العلمانيـة ولا مـن غيرهـا مـن الـشرور

والشبهات.. يضيف: إنه إسلام اختُزل في كلمة تقال لا يُدرى ما معناها، وما مقتضياتها وشروطها ونواقضها. وقد لمس الشيخ محمد هذا الجهل في هؤلاء الفتية المساكين.

ويقول: إنه ذكر مرة لأحدهم قول النبي «ﷺ»: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ»، فلم يعرفه، وصرح لي أنه لم يسمع ولم يقرأ هذا الحديث قبل هذا المجلس، وكتبت على السبورة وأنا أقرأ قول المولى عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠]، فقال أحدهم: ما هذا؟ فأجابه صاحبه: هذا قرآن! وتلوت عليهم قول المولى عز وجل: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة: ٢٩]، فطلب أحدهم النظر إليها في المصحف لعله يتأكد من كونها قرآناً أو من أني لم أزد فيها شيئاً، وسألتهم أن يجيبوني بصراحة متى تعلموا قول النبي «ﷺ»: «لاَ نَبِيَّ بَعْدِي»؟ أفي مدة إسلامهم أم بعد أن اعتنقوا «القاديانية»؟ فكان جوابهم صريحاً: إنهم لم يسمعوا بهذا الحديث إلا بعد اعتناق «القاديانية».

ويتساءل الشيخ: هل كان هؤلاء الشباب قبل اعتناق «القاديانية» مسلمين أم كانوا تائهين؟! ويحمِّل الشيخ حاج عيسى، وهو أستاذ في كلية العلوم الإسلامية، مسؤولية انتشار هذه الأوبئة الفكرية والعقائدية إلى المدرسة الجزائرية والقائمين عليها، وإلى المنظومة التربوية التي أُفرغت من محتواها الديني في الماضي القريب، فأنتجت لنا ما نراه اليوم وما نسمعه، وما يزال المتصرفون باسم الأمة والأوصياء عليها يزيدون مادة التربية الإسلامية تحريفاً وتقزيماً، لصناعة مجتمع لا هوية له ولا حصانة، وكأنهم يخططون لأن يصبح في الجزائر طوائف دينية متعددة تنبثق عنها مشاريع مجتمعات متضادة وأحزاب تمثلها وتنتصر لمشاريعها. تحريك المتابعة الأمنية ما الجهود التي تبذلها وزارة الشؤون الدينية الجزائرية لوقف زحف «القاديانية» في الجزائر؟ هذا هو السؤال الذي طرحته «المجتمع» على مستشار وزير الشؤون الدينية عدة فلاحي الذي قال: إن الوزارة لاحظت مؤخراً أن المرجعية الوطنية أصبحت مهدَّدة بالمرجعيات الأجنبية؛ لذلك عمدت إلى توسيع صلاحيات المفتشية على المستوى المركزي بالوزارة، وعلى المستوى الولائي، ولا يبقى دورها محصوراً في تفتيش المرافق الدينية، وإنما في كل المحيط الذي تتواجد فيها هذه المرافق، وتسجيل كل التحركات المشبوهة التي تهدد الأمن الروحي والفكري للبلد، وتحريك المتابعة الأمنية؛ لأن ذلك يعتبر خرقاً للإجماع الوطني والسلم الاجتماعي.

البوطي بين التصوف الفكري والتصوف السياسي

طلحة المسير – موقع الصوفية

يظهر البوطي داخل دائرة التصوف كرجل يرتدي ثوب المجددين للتصوف، الذين يُقيّمون تجربته، ويعيدون تشكيلها وفق رؤيته لما يسميه وظيفة التصوف في الحياة.

فالبوطي يعبر عن التصوف بقوله: (أما التصوف بمعناه الحقيقي السليم فهو لُبُّ الإسلام، وجوهره الكامن في أعماق فؤاد الإنسان المسلم، وبدونه يغدو الإسلام مجرد رسوم ومظاهر وشعارات يجامل بها الناس بعضهم بعضًا، ولا توقفنك إزاء هذه الحقيقة مشكلة الاسم؛ فلقد كان التحلي بهذا اللباب في صدر الإسلام مسمى لا اسم له إلا الإسلام الحقيقي الذي يستدعي من صاحبه تزكية النفس والسعي إلى بلوغ درجة الإحسان[1].

وهو بهذه الطريقة يبدو للسالكين على طريقته رجلًا متجردًا لصحيح الإسلام لا غير؛ بل إن هذا الظن قد يترجح عند بعض الناس عندما يرى البوطي يقف موقف الناقد لبعض قضايا التصوف، ولمسلك بعض رجالات الصوفية، فهو يرفض تفسير

(١) كتاب السلفية مرحلة زمنية مباركة، ص(١١٧).

بعض المنتسبين للصوفية القرآن بالطريقة الباطنية، ويرى ذلك خروجًا عن الإسلام فيقول: (اتباع كثير من الناس في تفسير نصوص القرآن أو السنة ما تخيله إليه أوهامهم وسمادير[1] أحلامهم، باسم التصوف أو علم الباطن، دون التقيد بأي ضابط من قواعد اللغة العربية أو أصول الدلالات أو قواعد تفسير النصوص.

ومن الأمثلة على ذلك ما ساقه الألوسي في تفسيره نقلًا عن بعض هؤلاء الذين يلبسون مسوح التصوف زورًا وبهتانًا من تفسير (مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ) في سورة الكهف بمجمع ولاية الشيخ وولاية المريد ...، ومهما يكن فإن الأمانة العلمية لا تسمح بنسبة هذه التأويلات الخيالية الباطلة إلى الصوفية هكذا على وجه التعميم، ظهر في تاريخ هذه الأمة فئات شتى من الزنادقة والباطنية تسللوا بضلالاتهم إلى الفكر الإسلامي عن طريق التصوف، والاصطباغ بصبغته، وارتداء مسوحه، وما هم في الحقيقة من التصوف أو الإسلام في شيء، ولكنهم اتخذوا من هذا وذاك قناعًا لإيهام الناس وجرِّهم باسم الحقيقة إلى الإباحية، وباسم الوجود والفناء إلى ألوان من الزندقة والحلول[2] .

بل هو يبدي رفضه لبعض بدع الصوفية المنتشرة؛ مثل الرقص والتثني، فيقول عن ذكر الله بطرق غير مشروعة: (كأن يلتبس الذكر بعمل منهي عنه كالرقص والتثني، فهذا ممنوع وخارج من عموم النص القرآني العام استنادًا إلى دليل حرمة الرقص والتثني[3].

بل والأكثر من ذلك أنه يُعرِّض بشيوخ الطرق الصوفية في هذا العصر قائلًا إذا سألتني عن الطرق في هذا العصر، فأنا أرجوك أن تدلني على طريقة من الطرق مرشدها يتمتع بالعلم بالشريعة الإسلامية علمًا وافرًا كافيًا بالزهد في الدنيا وما حولها وذيولها، والاستقامة في السلوك، سأذهب غدًا لأكون مريدًا لديه، ولكنني التفتُّ يمينًا وشمالًا فلم أجد هذا المرشد[4] .

صورة أخرى

ولكن من لا يعلم حقيقة الأقوال قد يعجب حين يرى البوطي يدور حول التصوف في صوره الغالية؛ فيدافع مثلًا عن طعن بعضهم في ذات الله جل وعلا عندما يكونون فيما يسميه الصوفية حال السكر، بدلًا من أن يهاجم هذه الطريقة في العبادة، وينهى عنها؛ لما تؤدي إليه من فساد وإفساد؛ فيقول: (ربما وصل أحدهم ومن خلال التدرج في هذه المراتب إلى ما أسموه بوحدة الشهود؛ إذ يفنى السالك بالمكون عن الأكوان، وبرؤية موجده عن ملاحظة وجوده.

وربما اندفع في غمرة هذا الاصطلام إلى النطق بكلمات لا تنضبط بموازين العقل والمنطق، ولكنها تنبعث من فيح مشاعره الوجدانية التي فنيت كما قلنا عن كل ما سوى الله، كقول أبي يزيد البسطامي قدس الله روحه: «ما في الجبة إلا الله» وكقول بعضهم: «أنا الحق» أو «سبحاني»...، ومع ذلك فلا جناح على من وقع في حال الفناء ووحدة الشهود ...، ولكن كما أنه لا جناح عليهم بسبب هذا العذر فلا يجوز الاقتداء بهم لمن كان في حالة صحو، ولا حمل كلامهم وأفعالهم على الصحة؛ بل يجب النظر إلى ذلك على أنه شطحات يُعفى عنها لأهل الأحوال والمواجيد الصحيحة، ويؤاخذ بها كل من رددها تشبهًا أو أيدها عقلًا ممن لم يكونوا في مثل تلك الحال.[5]

وهو يترجم بكل سرور قصة من اللغة

---

(١) قال الجوهري في كتابه الصحاح في اللغة، مادة سمر: (السَمَاديرُ) ضَعْفُ البَصَرِ عند السُكْر وغَشْيِ النعاس والدُوار.

(٢) كتاب السلفية مرحلة زمنية مباركة، ص(١١٦).

(٣) المصدر السابق، ص(١٩٢).

(٤) مقطع من حلقة رقم ١٨ من حلقات برنامج «مع البوطي في حياته وفكره» والذي بث في رمضان ١٤٣٠ هـ.

(٥) كتاب الإسلام ملاذ كل المجتمعات، ص(٢١٠).

الكردية، تسير على ما يسميه الغلاة العشق الإلهي، وتوهم بالحلول؛ فمن نصوصها: (أسألك بيحموم عشق المعذبين، وبكمال صدق العاشقين، أسألك بحلاوة الجمال ونشوته، وبعظمة الجلال ودهشته، أسألك بداء الهجر وعذابه، وبشهد الوصال ولذة شرابه، أسألك بلذة حب العاشقين، وبمرارة عداوة الرقباء والكائدين، أسألك بماء عيون البلابل والأطيار، وبالندى المتساقط على الورود والأزهار، أسألك بكل ذلك يا مولاي أن تزيح عن عيني غشاوة هذه الظلال الفانية، حتى لا أرى فوق صفحة الدنيا إلا قوة سلطانك...، أي رب: لقد آمنت بقوتك وجبروتك، وأيقنت بنورك وبهائك، آمنت أن هذا الكون كله جسم وأنت روحه [١].

ويقول عن والده: (كان إذا وضع الطعام واجتمعنا معه على مائدته، أمرنا جميعًا أن نجلس جلسة أدب، حتى لكأننا ماثلون من هذه المائدة أمام الله [٢] .

أما الغلو الذي يتعلق بعبادة غير الله جل وعلا بدعوى الاستغاثة بالصالحين، وما إلى ذلك؛ فتنتشر للبوطي على الشبكة العنكبوتية فتاوى تشير إلى تفريطه في هذا الجانب، وتساهله في توجيه الناس؛ مثل ما نراه في جوابه عمن سأله عن طلب المدد من الشاذلي والرفاعي مع الاعتقاد بأن الله هو الضار والنافع.

فيقول: (كن على يقين بأن لا نافع ولا ضار إلا الله، ثم توسل أو استغث بمن شئت من الصالحين، من أمثال من ذكرت أسماءهم)، بقي أن البوطي استخدم التصوف سلاحًا ضد من يكشفون خبايا الباطنية العلويين في سوريا؛ ذلك أنه يقرر أن السياسة تضعف جانب الإخلاص عند الداعي، ويتخذ نموذج نور الدين النورسي مثالًا على ذلك قائلًا: (إن الذي جعله يعزف عن النهج السياسي تنامي مشاعر الإخلاص لله في قلب الإنسان، فأصبحت أعماله خالصة له وحده، لم يعد يقبل بوجود أي من الشوائب والقصود الأخرى التي من شأنها أن تعكر صفو توجهه الخالص إلى الله وحده [٣].

ثم يقرر البوطي رأيه في السياسة قائلًا: (إن النهج السياسي في معالجة الأمور يأخذ سلطانه دائمًا من الرعونات البشرية، ومن ثم فإنه لا يبالي أن يقوض صروحًا من المكاسب أو القيم في سبيل تحقيق مأرب شخصي [٤].

موقفه من الحكم

ويشرح البوطي نظرته لموقف الدعاة من الحكم قائلًا: (إن عليهم في مرحلة دعوتهم إلى الله والتعريف بدينه أن يُعرضوا عن الحكم وأهله؛ حتى لا تشوب هوياتهم الإسلامية شائبة قصد سياسي فتزول ثقة الناس بهم، فإذا تغلب الخير وشاع الالتزام بدين الله في المجتمع، اصطبغ الحكم آليًا بصبغة الإسلام ونظامه، فإذا ظلت رغبتهم مع ذلك باقية في بلوغ الحكم فهم إذًا طلاب مغنم دنيوي لا طلاب جهاد إسلامي [٥] .

لذلك لا يفتأ البوطي من نقد الجماعات التي تضاد نظام الحكم النصيري في سوريا؛ فيقول مثلًا عن الأستاذ مصطفى السباعي، المرشد الأول للإخوان المسلمين في سوريا: (وحسبك من كثير ممن جاءوا على أعقابه أنهم يتجاهلون ما به تكون مرضاة الله ورعاية الأخوة الإسلامية؛ سعيًا إلى ما به تتحقق مرضاة الجماعة وتُستجر المغانم [٦].

هذه النظرة التي تغفل كثيرًا من تعاليم الإسلام في الحكم والسياسة الشرعية؛ لاستنادها على هذه الأهواء التي تمثلت في قالب تصفية الروح، أدت به إلى أن يجنح في عداوة الأسباب وأن يحرف تاريخ

---

(١) كتاب ممو زين، للكاتب أحمد خاني، وترجمه للعربية محمد سعيد البوطي، ص(١٨٩).
(٢) كتاب هذا والدي، ص(٦٥).
(٣) كتاب شخصيات استوقفتني، ص(١٦٣).
(٤) المصدر السابق، ص(١٦٦).
(٥) كتاب الجهاد في الإسلام، ص(١٩٥).
(٦) كتاب شخصيات استوقفتني، ص(٢٠٨).

الإسلام؛ ليبرهن على صحة دعواه؛ فيقول مثلًا: (رسول الله ﷺ لم يقاتل في سبيل الحصول على دار إسلام، ولم يقاتل في سبيل بناء دولة إسلامية، أو إيجاد حشد من المسلمين تتألف منهم تلك الدولة، ويتحقق بهم نظامها، وإنما قاتل بعد أن منحه الله كل ذلك حراسة له ودفاعًا عنه[1]).

ولو أن البوطي توقف عند نظرته للإخلاص وعلاقته بالسياسة، لحاول البعض تلمس الأعذار له، أما ألا نجد للبوطي أي تحذير للمسلمين من خطر النصيرية وخبثهم، بل يقوم البوطي بكيل المديح جزافًا لأعداء الله النُصيريين في سوريا، في ذات الوقت الذي يهاجم فيه كثيرًا من الجماعات الإسلامية؛ فهذا ما لا يمكن تحمُّله، خاصة إذا كان يصف نفسه بقوله: (من فضل الله علي وجليل نعمته أنني قد عشت إلى اليوم دون أن أستعمل قلمي مرة واحدة لمدح من لا أؤمن بفضله أو قدح من لا يطاوعني قلبي على ذمه[2]).

فمثلًا يقف البوطي أمام حافظ الأسد، معتذرًا عن الأسد في إعراضه عن تعظيم شرع الله في دولته قائلًا: (السيد الرئيس: ... إننا نعلم جميعًا أن في المسلمين المجاورين لنا من قريب أو بعيد، من يتعاملون بالاحترام والتبجيل مع مظاهر الإسلام وصوره وشعاراته السطحية والشكلية؛ كرفع الأذان في أجهزة الإعلام عند دخول مواقيت الصلاة، وكبدء نشرات الأخبار بالبسملة، وكالإكثار من بث تلاوة القرآن والأحاديث الدينية التقليدية في الراديو والتلفزيون، ومع يقيني بأن الالتزام بهذه المظاهر أمر مستحسن، فإني لعلى يقين أيضًا بأنه لا خير في شيء من هذه المظاهر إن كانت مجرد غطاء سلوكيات وأعمال وأنظمة وأخلاقيات لا ترضي الله عزّ وجل.

ومع يقيني بأن علينا أن نكون أول الناس التزامًا بهذه المظاهر والشعارات فإني لعلى يقين أيضًا بأنه لا حرج في تجاوزنا لها أو تقصيرنا شأنها، إن قيض الله من قادتنا وشعبنا في هذه البلدة المباركة، حماة لجواهر هذا الدين، حراسًا لبنيانه، عاملين على تطبيق مبادئه وأحكامه[3]).

ويقول كذلك عن حافظ الأسد: (إنّ الأمة كلها ترى وتعلم أن فؤادكم مشدود إلى مراقبة الله، وأن إيمانًا ثرًا يتنامى بين جوانحكم، وأن إسلامكم ليس محل ريب ولاشك[4]).

ولهذا كان طبيعيًّا أن تنتقل موالاة البوطي لحافظ الأسد إلى ابنه بشار من بعده؛ ليقول البوطي لبشار: (لقد آل الأمر في هذا اليوم إليك بمشيئة الله عز وجل أولًا، ثم ببيعة صادقة صافية من الشوائب من هذا الشعب ثانيًا، بيعة لا والله لا يمكن أن تُترجم إلا بالولاء الصادق، وبالحب العفوي الصافي عن الشوائب، بيعة لا تستطيع الديمقراطيات المطبوخة المصطنعة أن تتسامى إليها، ولم تستطع المزايدات أن تُغْشِي على شيء منها بشكل من الأشكال[5]).

ومع كل هذا الحب الذي يظهره البوطي للنظام السوري، فليس مستغربًا أن نرى له في هذه الأيام هجومًا متكررًا على الأبطال الذين قاموا بالثورة على هذا النظام النُصيري الكافر، متهمًا لهم بسيل الاتهامات الفارغة.

ولكن يبقى التساؤل: هل حقًا إخلاص النية لله هو الذي دفعه للهجوم على كل جماعة إسلامية أرادت أن تسوس الناس بشرع الله، ودفعه كذلك للوقوف مع النُصيريين في سوريا ضد المستضعفين في تلك البلاد؟

(١) كتاب الجهاد في الإسلام، ص(١٩٧).
(٢) كتاب شخصيات استوقفتني، ص(١٩٩).

(٣) كتاب هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك، ص(٦٥).
(٤) المصدر السابق، ص(٨٦).
(٥) كتاب هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك، وهذه عبارة من كلمة طويلة قالها في حفل تأبين حافظ الأسد بعد مرور ٤٠ يومًا على وفاته، انظر الكلمة كاملة ص(١٤٧) وما بعدها.

لم تقتل إسرائيل مائة ألف سوري!

عماد الدين أديب – الشرق الأوسط ٢٠١٣/٢/٢٨

إسرائيل، هي بالتأكيد، العدو التاريخي للعالم العربي منذ عقود طويلة ولعقود مقبلة.

ومن وسائل تفسير ظاهرة «العدو»، وهنا نتحدث عن أي عدو، أنه الطرف الأكثر إحداثا للضرر تجاهنا، لأنه، ببساطة، عدو.

العدو هو الذي يلحق الأذى، والشقيق هو الذي يصلح الضرر ويمنع الخطر.

هنا، يصبح السؤال صعبا، ومحيرا، حينما يكون الضرر والأذى الآتيان من الشقيق أضعاف أضعاف ما يأتي من العدو!

المنطق البسيط الساذج البدائي الذي لا يحتاج إلى ذكاء غير عادي، ولا عبقرية فكرية، ولا الحصول على رسائل دكتوراه من السوربون أو كمبردج أو كولومبيا - هو أن «العدو» هو من يقتل ويصيب ويدمر، والشقيق هو من يدافع ويحمي ويمنع الضرر.

في عالمنا العربي، المنطق - كالعادة - معكوس!

في عالمنا العربي، قتل العرب من العرب أكثر مما قتلت إسرائيل من العرب! في غزو إسرائيل للبنان، قتلت الميليشيات اللبنانية من الفلسطينيين أكثر مما قتلت إسرائيل!

وفي الحرب الأهلية اللبنانية، قتل اللبناني شقيقه اللبناني أكثر مما قتل أي عدو آخر.

وفي العراق، قتلت السلطة من شعبها أكثر مما قتلت إيران في حربها الطويلة مع العراق.

وفي الجزائر، وليبيا، ومصر، واليمن، دخلت السلطات الأمنية في حروب مع مواطنيها كلفت البلاد ضحايا بالمئات والآلاف في مصادمات دموية بين السلطات والقوى الدينية المتطرفة.

أما في سوريا، فإن تاريخ مصادمات نظام البعث، سواء كان في عهد الرئيس الأسد الأب أو الأسد الابن، تاريخ مؤلم للغاية، فيه توأؤم لا ينتهي من الضحايا الذين لقوا نحبهم على يد هذه الأنظمة المتعاقبة.

ورغم أن سوريا دولة مواجهة عسكرية مع العدو الإسرائيلي، ورغم أن جيشها من الأقوى تسليحا وأكثر الجيوش المركزية جهوزية، فإن ضحايا هذا الجيش من المواطنين السوريين يساوي عشرة أضعاف - على الأقل - قتلاه من العدو الإسرائيلي!

لقد قتل جيش «الدفاع السوري» من المواطنين السوريين المدنيين العزل أضعاف أضعاف من استشهد على يد جيش «الاحتلال» الإسرائيلي في كافة المواجهات العسكرية التاريخية بين البلدين.

لم تقصف إسرائيل مدينة سورية بالمدفعية الثقيلة، ولم تجرؤ إسرائيل على إعطاء الأوامر لقاتلاتها القاذفة بضرب المدنيين السوريين بشكل عشوائي.

هل هذا معقول يا عرب؟ يا مسلمين؟ !

ما يفكر فيه الملالي

أندرو فينكل – الشرق الأوسط ٢٠١٣/٣/١١

في منتصف اليوم في حي بايزيد التاريخي في إسطنبول امتلأ الجو فجأة بصوت الأذان من الكثير من المساجد السلطانية القريبة، تذكر بأن ذلك الجزء من المدينة الذي يكتظ بالمتاجر وطلاب الجامعات والسائحين كان في السابق حاضرة لإمبراطورية إسلامية عظيمة.

لم تعد إسطنبول الآن مقر الخلافة، لكنها لا تزال مصدر إشعاع للمتدينين، فقد شهد الأسبوع الماضي اجتماع علماء من جميع أنحاء العالم -

إندونيسيا وبريطانيا وباكستان - في غرفة اجتماعات متواضعة بالفندق لتحديد معالم الصواب والخطأ في الصراع في أفغانستان.

ورغم أنه طلب مني أن لا أذكر أسماء المشاركين دون إذنهم خشية التعرض لانتقام طالبان، فلم يبدِ أي منهم خشية في تسمية الأشياء بمسمياتها. وقد بذل الكثير من الجهد في تفنيد فكرة أن الصراع في أفغانستان حرب مقدسة وليست صراعا مباشرا على السلطة.

كان مؤتمر «التعاون الإسلامي لمستقبل سلمي في أفغانستان» من بنات أفكار الشيخ نعمة الله نجومي، أستاذ حل النزاعات في جامعة جورج ماسون، الذي حاول مناقشة القضية بالصورة الشاقة. كان نجومي قد شارك في الحرب ضد السوفيات في أفغانستان، مسقط رأسه، في سن الرابعة عشرة. والآن تتمثل مهمته في وقف الاقتتال الداخلي الأفغاني، تلك الطريقة المباشرة، حيث التقى المشايخ الأفغان البارزون مع كبار المفكرين في العالم الإسلامي لبحث التفجيرات الانتحارية واستهداف المدنيين وتدمير الآثار التاريخية - حتى العنف الداخلي.

بلغ مؤتمر الأسبوع الماضي ذروته في قرار مفصل وشديد اللهجة أعاد التأكيد على توافق الإسلام مع المعايير الإنسانية العالمية، ودعا المؤسسات الدينية في أفغانستان وباكستان والدول المجاورة لوضع حد للعنف. وسيتم تعميم هذه الوثيقة على أكثر من ١٦٠ ألف مسجد في أفغانستان حتى تجد نتائجه طريقها إلى ضمائر الأفراد هناك.

أوضح آتور رحمان سليم، مدير مركز البحث الإسلامي العلمي في كابل، أن هذا الاجتماع كان الثالث من نوعه، وقد بدأ هذا الجهد يؤتي ثماره. وقال: «من السهل الآن أن نعارض الداعين إلى العنف. فغالبية العلماء لا يخشون رفع أصواتهم. لكن البعض يقفون على الحياد». وأشار إلى أن عددا من المتحدثين دعموا طالبان على الحكومة الأفغانية وانتقدوا بشدة غارات الناتو أكثر من الهجمات الانتحارية التي يشنها المتمردون.

وقد جلست بجوار العالم الهندي إعجاز أرشاد قاسمي، الذي يرتبط بعلاقات وثيقة بجماعة ديوباند المتشددة، والذي يعتقد أن الناتو، لا باكستان، هو سبب تأزم الموقف في أفغانستان، وأن الحكومة لا تحظى سوى بدعم ١٠ ٪ من السكان، لكنه خالف طالبان في اللجوء إلى العنف، فقال: «العنف لن يحل العنف. الإسلام لا يعني الحرب».

وقالت مسودة القرار النهائي إن الإسلام لا ينكر أيضا حقوق المرأة في التعليم والخدمات الصحية، وتؤكد الوثيقة على أن انتهاك حقوق المرأة يناقض قيم الإسلام.

لم يتوقع المشاركون أن يتمكن هذا المؤتمر من حل مشكلة أفغانستان الأساسية - الحكومة دون حكم بحسب نجومي - لكنها تسمح لحركة مجتمع مدني مزدهر أن تدعو كلا من الحكومة الأفغانية والمتمردين للضغط على دول الجوار لوقف التدخل في شؤون بلادهم الداخلية.

يعتقد المنظمون أنهم بجمع هؤلاء الأفراد ذوي النيات الطيبة في غرفة واحدة فقد نجحوا في ما فشلت فيه السلطات الوطنية. شهد المؤتمر حضور أربعة علماء من باكستان، وقد حاولت الحكومتان الأفغانية والباكستانية لكنهما لم تنجحا في تنظيم اجتماع علماء مسلمين منذ بداية العام.

نظرا لتنوع المشاركين، كانت درجة الإجماع متميزة. وقال المتحدثون واحدا تلو الآخر، إن اللجوء إلى العنف في أفغانستان ليس له أي مبرر ديني، أو على حد تعبير البيان الختامي: «جريمة ترتكب باسم الإسلام هي جريمة ضد الإسلام».

إيران تستعد لدخول أفغانستان

أمل عبد العزيز الهزاني – الشرق الأوسط ٢٠١٣/٢/١٦

السيناريو العراقي يتكرر في أفغانستان؛ الرئيس الأميركي يعلن موعد انسحاب القوات العسكرية لحلف الناتو، وتبدأ نقاشات محمومة داخل الكونغرس والبيت الأبيض عن فرص بقاء بعض القوات للتدريب وحماية المؤسسات.

آخر يوم من عام ٢٠١٤ هو الموعد النهائي لانسحاب القوات الأميركية من أفغانستان تاركة وراءها بلدا هشا أمنيا واقتصاديا وسياسيا، أردى حالا من العراق الذي نراه اليوم في أسوأ حالاته منذ سقوط نظام صدام حسين بعد عام واحد من انسحاب الجيش الأميركي.

في أفغانستان، تنسحب القوات الأميركية التي تمثل الجزء الأكبر من القوات الدولية (٦٦ ألف جندي من مجموع ١٠٠ ألف) بعد ١١ عاما من الحرب على الإرهاب مع فاتورة بتريليون دولار، ودولة مهددة من أربع جهات: باكستان، وطالبان، والفساد الإداري والمالي، وأخيرا إيران.

باكستان التي تنفي في كل مناسبة ارتباطها بطالبان أو إيواء عناصر منها أو دعمها، تراها كابل لا تعين على استقرار الدولة التي عانت طويلا من الوجود الأجنبي منذ عشرات العقود. السياسة الباكستانية متلونة، تفعل في النهار ما تحاربه في الليل، والثقة بها تمحوها حوادث كثيرة من أهمها تهريب العناصر المسلحة الطالبانية من وإلى أفغانستان، واقتناص أميركا لرؤوس من تنظيم القاعدة من بلدان مختلفة كانت تختبئ في أقاليم البلاد أو تسكن بطمأنينة، كزعيم التنظيم أسامة بن لادن.

أما طالبان فقد تكون أهون الأشرار، لأنها اليوم تختلف عما كانت عليه وقت نشأتها في منتصف التسعينات وأكثر قابلية للتفاوض، لذلك يرتعد الرئيس الأفغاني خوفا من أن يلجأ الأميركيون والأوروبيون إلى عقد اتفاق مع طالبان بعيدا عنه مما يحجم دوره السياسي. هذا يعني أن الحركة لديها الاستعداد الذي لم يكن لديها سابقا لأن تكون شريكا في مستقبل الدولة السياسي.

ثم يأتي الفساد المستشري في الجيش والشرطة والمؤسسات الحكومية الأفغانية، والذي هو إحدى أهم نتائج الوجود الأجنبي الذي أضعف الحكومة المركزية وقوض التلاحم الوطني وأوهن القيم المجتمعية وصنع تحديات ليس من بينها بناء دولة قانون. وبسبب الفساد، نجد الحكومة الأفغانية اليوم تتآكل، بفعل انتشاره وعجزها عن التصدي له والحفاظ على حقوق الإنسان خاصة ما يرتبط بالمعتقلين والحريات وحقوق المرأة في التعليم والعمل والانتخابات ونبذ العنف ضدها.

يبقى التهديد الأهم وهو إيران، الخطر الذي لا يريد أن يراه الأميركيون أو الأوروبيون، ولا يأتون على ذكره خلال جدالهم في جلسات الاستماع في المؤسسات الرئاسية والبرلمانية.

العنصر المشترك والخطير في البلدين؛ العراق وأفغانستان، أنهما من الناحية الجغرافية جناحان لدولة مثل إيران، لم تستيقظ من حلم هيمنتها على هذا الجزء من العالم. فعلى رأس حكومة بغداد اليوم رجل لا يخفي تبعيته لطهران قولا وعملا، مستندا إلى قوة الحضور الإيراني كطرف مشاغب عجزت عنه الولايات المتحدة في لبنان وسوريا واليمن، فمنذ الغزو الأميركي للعراق فرضت إيران وجودها بالقوة أو بالابتزاز، فانتشرت ميليشياتها في الجنوب العراقي، وزرعت محسوبين عليها من العراقيين في مؤسسات الجيش والأجهزة الأمنية والدفاع، حتى بات انتزاعهم أشبه بقض البنيان.

إيران مكنت لتنظيم القاعدة في العراق كما مكنت لميليشياتها، وهناك تقارير مؤكدة منذ سنوات على دعم لوجيستي ومالي من إيران

لقيادات من التنظيم كانت تسهل دخولهم للعراق من إيران وسوريا، وهي اليوم تفاخر بأنها العامل الرئيسي الذي اضطر الأميركان للانسحاب المذل من العراق. لكن ما لا تعترف به إيران أن هزيمة تنظيم القاعدة في العراق كانت بفعل شجاعة العشائر السنية في الأنبار، التي توحدت ضد التنظيم في عمل كان الهدف منه تحقيق انتصار أمني وليس سياسيا، وهؤلاء هم من يقودون اليوم حركة المعارضة المتنامية ضد حكومة المالكي والوجود الإيراني في العراق.

من سوء الحظ أنه في أفغانستان لا توجد عشائر سنية صلبة كما في العراق، بل شعب ضعيف منهك فقير تنتشر فيه الأمية، وميليشيات شيعية وسنية مرتزقة، ولأن واشنطن ضربت موعدا لانسحابها وهي معروفة بوفائها في ما يخص مواعيد الانسحاب، فإن إيران قد بادرت خلال السنوات الماضية بتعزيز حضورها في أفغانستان دبلوماسيا وأيضا بتقديم مساعدات مادية وبنيوية كبيرة، في قطاع الاتصالات، والإعلام، والطاقة، والطرق، وبناء المدارس والحسينيات. ومع اقتراب موعد الانسحاب الغربي بدأت رحلات مكوكية لوفود إيرانية متوجهة إلى أفغانستان تحضيرا لمرحلة ما بعد الانسحاب، آخرها كان قبل أيام حيث توجه مستشار المرشد الإيراني علي خامنئي لشؤون الأمن القومي إلى كابل.

وفي تقرير مهم للغاية نشرته صحيفة الـ«نيويورك تايمز» مؤخرا، ذكرت أنه من بين ٢٣ كتيبة عسكرية أفغانية تلقت تدريبها على يد قوات الناتو، فإن كتيبة واحدة فقط يمكنها أن تعتمد على نفسها في حفظ الأمن بعيدا عن المعونة الأجنبية. بمعنى آخر، أفغانستان مهددة بالفراغات الأمنية داخليا، ولا تستطيع حماية حدودها وأجوائها، أي أنها غير مستعدة للانسحاب الكامل للقوات الأجنبية والتي يسميها باراك أوباما «الخطة صفر»، وأن بقاء قوات أميركية خاصة تعدادها ٢٠ ألفا سيكون عاملا مهما للحفاظ على أفغانستان مستقرة نسبيا، بحسب تقرير قدمه قائد القوات الأميركية في أفغانستان جون آلن.

في أفغانستان فرصة كبيرة لإيران لم تكن لتفوتها، وهي التي تفلح دائما في الدخول إلى ساحة المعارك بعد فض الاشتباك للاستئثار بغنائم الطرفين. أفغانستان مساحة جذب هائلة، فهي محطة عبور لآسيا الوسطى ومنطقة بحر قزوين الثرية بأكبر ثاني احتياطي نفطي في العالم بعد منطقة الخليج العربي، وجسر ممهد لنشر التشيع فيها، إضافة لتقوية ظهر المتطرفين الشيعة في باكستان النووية، وإن وصلت طهران إلى ذلك فستكون فعلا رقما لا يمكن تجاهله في كل مشروع أو قرار، عربي أو غربي، يتعلق بالمنطقة .

وهذا جدير بأن تتنبه له دول الخليج العربي؛ بأن خسارة إيران للنظام السوري قد لا تكون آخر فصول المسرحية.

الحوثيون لديهم أجندة يريدون فرضها بالقوة في اليمن

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٣/١٠

يعد حزب التجمع اليمني للإصلاح الإسلامي، ربما ثاني أكبر حزب في اليمن وهو أحد أبرز أحزاب تكتل اللقاء المشترك الذي كان معارضا وبات في ضوء المبادرة الخليجية يترأس حكومة الوفاق الوطني التي شكلت في ضوء المبادرة، وللإصلاح مواقف سياسية قوية وتأثير في الساحة اليمنية، والأيام الماضية تعرضت بعض مقراته في محافظات جنوبية كعدن وحضرموت ولحج للإحراق في إطار أعمال العنف والفوضى التي شهدها جنوب اليمن بعد الاحتفال بيوم ٢١ فبراير (شباط)، يوم انتخاب الرئيس عبد ربه منصور هادي العام الماضي، وكان للإصلاح دور مهم في تلك الاحتفالات التي أثارت حفيظة بعض قوى

الحراك الجنوبي أو ما بات يوصف بالحراك المسلح والذين يتهمون بالقيام بإحراق مقرات الإصلاح على نطاق واسع.

وفي هذا الحوار مع سعيد شمسان، رئيس الدائرة السياسية لحزب الإصلاح، يتم التطرق إلى هذه القضايا وعلاقة الإصلاح بالحراك الجنوبية وخلافاته مع فصائل الحراك وصراعه الدائم مع الحوثيين في الشمال، ويؤكد القيادي الإصلاحي أن لدى جماعة الحوثيين أجندة تريد فرضها بالقوة في اليمن وأن كل الأطراف ترفض ذلك، إضافة إلى قضايا أخرى كثيرة تطرق إليها الحوار، فإلى نصه:

***لماذا يتم استهداف مقرات حزبكم بالتحديد في الجنوب والآن في الحديدة؟**

–أعتقد أن هذه ضريبة ندفعها نحن في التجمع اليمني للإصلاح بسبب تبنينا للمشاريع الوطنية الكبيرة التي تهم أبناء الشعب اليمني قاطبة وأصحاب المشاريع الصغيرة يحاولون النيل منا ومن مقراتنا وهذا شرف كبير بالنسبة لنا على اعتبار أن الاستهداف بأسلوب العنف واستخدام السلاح والقوة، هو أمر مجرم من حيث المبدأ وكل الأطراف من أحزاب وقوى ومنظمات دانت هذه الأعمال الإجرامية، ونحن في الإصلاح نجدد التأكيد على نهجنا السلمي واستعدادنا الدائم لدفع ضريبة هذا السلوك الحضاري الذي ينتهجه الإصلاح.

***هناك من يطرح أن لدى الجنوبيين مخاوف من توسع نفوذ الإصلاح في مناطقهم.**

–هذا الموضوع غير وارد على اعتبار أننا تعاملنا جميعا بالسلوك الديمقراطي والحضاري والتعبير بالوسائل السلمية، وبالتالي لا أعتقد أن هناك مبررا على الإطلاق لاستخدام السلاح والعنف وإحراق المقرات وهذه أعمال نرفضها.

***يخوض حزبكم معارك سياسية، حاليا، مع الحراك في الجنوب وفي الشمال مع الحوثيين.. ما الأسباب والكامنة وراء ذلك؟**

–هذا السؤال يفترض أن يوجه إلى تلك الأطراف ولكن نحن في الحقيقة حزب سياسي آمنا بالسلمية والتعددية وهذه الأطراف هي التي تنتهج العنف ولذلك نوجه لهم الرسائل، سواء الحراك أو الحوثيين أو غيرهم ونطالبهم بانتهاج السلم وإذا كانت تريد تحقيق أهدافها أو ما في أجنداتها، فأعتقد أن عليها أن تنتهج الأساليب السلمية، وفي ما يتعلق بالحوثيين (الخلاف معهم) شكلنا لجنة مشتركة ثم أخرى من خلال اللقاء المشترك لمعالجة موضوع إخواننا الحوثيين، أما الحراك الجنوبي فليست بيننا وبينه أي خصومة لا قديمة أو جديدة، والموضوع أو المشكلة أننا أردنا أن نعبر بطريقة سلمية وحضارية عن موقف معين مع كل الأطراف في المحافظات الجنوبية لكننا فوجئنا بالمجاميع المسلحة التي قامت بالأعمال الخارجة على القانون.

***هل تقصد عدم وجود خلاف مع الحراك الجنوبي؟**

–إطلاقا لا يوجد خلاف، نحن دعمنا الحراك السلمي ودعمنا مطالبهم وحضرنا فعالياتهم وأنا شخصيا شاركت في بعضها في ردفان وعدن والتقيت بكثير من هؤلاء الإخوة، وما حدث أنهم لم يستطيعوا تحمل موقف سياسي معين ولم يستطيعوا التعامل معه والتعبير عن رفضه بأسلوب حضاري وظهروا على أنهم لا يقبلون الرأي والرأي الآخر وعلى أنهم ينتهجون العنف ويرفضون التعبير بالوسائل السلمية وهذا شيء يخصهم، نحن سلوكنا حضاري والتعبير السلمي حق لكل يمني ومكفول لكن بالوسائل السلمية لكن استخدام العنف وإحراق مقرات أحزاب وخطف مواطنين وحرقهم، فهذا أمر مرفوض ومجرم ولذلك نطالب بتحقيق شفاف ومحايد حول هذه القضايا ونتمنى أن يتم التحقيق وأن تعلن نتائجه للرأي العام ويحدد من المتسبب والمتورط في الأحداث ونحن على الاستعداد لقبول نتائج التحقيق.

***ماذا يعني أنكم في الإصلاح على خلاف مع فصيل الحراك الذي يقال إنه مدعوم من إيران وأيضا مع الحوثيين المدعومين إيرانيا أيضا؟**

–لا أعتقد أن الخلافات مذهبية وهذا أمر مرفوض ونحن شعب يمني واحد والكل يتعايش مع بعضه بغض النظر عن المذهب وغير ذلك، ولأكثر من ١٠٠٠ عام هناك تعايش ولم يحدث أي إشكال في هذا الاتجاه.

***ما طبيعة خلافكم مع الحوثيين، هل هو سياسي أم غير ذلك؟**

–نحن نعتبر أن الإخوة الحوثيين لديهم مشروع يريدون فرضه على الناس ونحن نقول لهم لا.. إذا جاء عبر الوسائل السلمية أهلا وسهلا به أما عبر العنف فمرفوض تماما هذه خلاصة المسألة القائمة وهذا ليس موقفنا لوحدنا بل موقف كل الأطراف، فنحن نرفض أن تتحول المعركة في اليمن إلى تصفية حسابات إقليمية أو دولية ونرفض، أيضا، أن تتحول إلى جانب طائفي وعنصري وسلالي، نرفض كل ذلك جملة وتفصيلا، لوائحنا وأنظمتنا وقيمنا في الإصلاح ومبادئنا ترفض ذلك.

***مؤتمر الحوار الوطني على الأبواب، فما هي المطالب أو التوجهات التي لمستموها لدى الحوثيين من المؤتمر؟**

–الحوثيون لا أعتقد أن هناك مشكلة في مشاركتهم، فقد شاركوا ويشاركون في التحضير والإعداد للحوار الوطني في كل المراحل وهم سيشاركون معنا في المؤتمر، وأيضا أعتقد أنها خطوة إيجابية ورائعة أن تشارك مجاميع من الحراك الجنوبي في المؤتمر ومن حقهم أن يطرحوا ما يريدون على طاولة الحوار، المهم هو أن يخرج اليمنيون إلى بر الأمان من خلال مؤتمر الحوار الوطني المرتقب وهذا ما نعول عليه كثيرا والشعب اليمني والقوى الداخلية والخارجية تعول كثيرا على المؤتمر ومخرجاته وندعو الجميع لاستشعار مسؤولياتهم التاريخية في هذه اللحظة الراهنة والفارقة في حياة شعبنا اليمني وأن يطرحوا قضاياهم على طاولة البحث من أجل التوصل لمعالجات.. هناك مظالم في المحافظات الجنوبية بحق إخوتنا هناك ويجب علينا جميعا الاعتراف بذلك والقضية الجنوبية قضية مسلم بها، ونحن نقول إن علينا أن نضع معالجات حقيقية جادة وملموسة يشعر بها المواطن ويشعر بأن هناك تساويا في الحقوق والواجبات وأن هناك مواطنة متساوية وأن هناك مظالم ردت إلى أصحابها وهذا ما دعينا إليه سواء في النقاط العشرين أو النقاط الاثنتي عشر وعلينا أن نشعر إخواننا في المحافظات الجنوبية أننا جادون في معالجة قضاياهم.

***هناك من يطرح أن مواقف حزب الإصلاح مبهمة في ما يتعلق بالقضية الجنوبية، فما هو الموقف بصراحة؟**

–نحن طالبنا منذ وقت مبكر بمعالجة القضايا في المحافظات الجنوبية، وأحد أسباب قيام الثورة هو رفض النظام السابق معالجة مثل هذه القضايا التي دعونا إليها منذ اللحظات الأولى ومنذ وقت مبكر والمسألة ليست مزايدة أو مناكفة أو غير ذلك، وموقفنا هو نفس موقف أحزاب اللقاء المشترك في القضية الجنوبية وقضية صعدة.

***هل أنتم مع الفيدرالية؟**

–هذه القضية في مقدمة قضايا مؤتمر الحوار الوطني الشامل، القضية الجنوبية بما فيها الفيدرالية والحكم المحلي واسع الصلاحيات وغيرها ونحن طرحناها في وثيقة الإنقاذ الوطني وبعض الإعلاميين يعتقدون أن هذه المواقف غير موجودة.

***لكنك لم تجب عن سؤالي بشأن موقفكم**

في الإصلاح من الفيدرالية والجنوب.

–عندما ننجز موقفنا في إطار اللقاء المشترك سوف نعلنه للجميع.

***يعني أن المشترك لم يبلور موقفا حتى اللحظة؟**

–نعم ولكن حول التفصيلات فقط، أما الفيدرالية والحكم المحلي واسع الصلاحيات وغيرها من القضايا حدد منها موقف في وثيقة الإنقاذ ومسألة الأقاليم وغير ذلك.

***هل أنتم في المشترك مع خيار الفيدرالية أم لا؟**

–نحن لم نحدد حتى اللحظة، طرحنا الخيارات الثلاثة وقلنا إن على المتحاورين تبادل الرأي حولها وأن يتفقوا على ما يناسب وضع اليمن سياسيا وجغرافيا وسكانيا وكل المعطيات والتفصيلات لا بد من بحثها.

مصر وإيران
في امتحان الرغبة والقدرة

فهمي هويدي – الشروق المصرية ٢٠١٣/٢/١٤

رغم أن زيارة الرئيس الإيراني لمصر سلطت الضوء على العقبات التي تعترض تطبيع العلاقات مع طهران، فإنها أحدثت ثغرة في الأفق المسدود.

(١) قبل افتتاح مؤتمر القمة الإسلامية قام الرئيس أحمدي نجاد بزيارة للأزهر وشيخه، وبعد استقباله ومجاملته تعرض الرجل إلى محاكمة غير لائقة على الهواء، حيث انهالت عليه الأسئلة والاتهامات بعضها تعلق بموقف الشيعة من الصحابة والسيدة عائشة، والبعض الآخر ركز على محاولات نشر المذهب في مجتمعات أهل السنة، وندد آخرون بمعاملة أهل السنة في إيران، ومنهم من فتح ملف عرب «الأهواز» وما يتردد عن إساءة معاملتهم.. إلخ.

ربما كانت بعض تلك الأسئلة صحيحة وواجبة الطرح، لكنها وجهت إلى الرجل غير المناسب وبأسلوب غير مناسب، وفي المكان غير المناسب، ذلك أنه لم يكن من حسن التقدير أن تلقى كلها في وجه الرجل، الذي لم يقل أحد إنه مرجع دين يتحدث في شأن الصحابة وعملية التشييع، وإذا كانت هناك ملاحظات أو تحفظات على سياسة دولة الضيف فإنها تقال في الاجتماعات والحوارات بين الطرفين، ولا تبث هكذا على الهواء، وهو موقف لا يعبر عن مودة أو عن رغبة في التواصل ومد الجسور، وقد بدا أن إشهارها بتلك الطريقة ليس مقصودا به حل أي مشكلة وإنما الهدف منه هو تسجيل المواقف وإحراج الرجل والتعريض به وبدولته.

من جانبي استهجنت المشهد، وقلت إن الأسئلة التي طرحت لا تعبر فقط عن هواجس وقلق من جانب مؤسسة الأزهر أو حتى من جانب السلفيين، ولكنها تعبر أيضا عن موقف سياسي ينطلق من التقاطع وليس التوافق، وكان ذلك أوضح ما يكون فيما أثير حول عرب الأهواز (أغلبهم من الشيعة)، الذين إذا افترضنا أن لهم مشكلات مع حكومة طهران، فإن ذلك لا يبرر تدخل الأزهر في الموضوع.

لاحقا اكتشفت أن الأمر كله كان في حدود الأزهر، وأن زيارة الرئيس أحمدي نجاد لم تكن بالتنسيق مع رئاسة الجمهورية التي فوجئت بما حدث واستنكرته. وكان ذلك هو الرد الذي سمعته حين تحريت الأمر في دوائر الرئاسة.

(٢) في مطار القاهرة أوقف أحد ضباط الجوازات سفيرا إيرانيا انتدب للعمل في اتحاد البرلمانات الإسلامية، وبعد ساعة وربع الساعة سمح له بالدخول للمشاركة مع رئيس الاتحاد الذي يحمل الجنسية التركية في اجتماعات القمة،

وكـان تـأخير دخـول الدبلوماسـي الإيرانـي محمـلا برسـالة سـلبية. فهمـت أنهـا ليـست الأولى مـن نوعهـا ولكنهـا تكـررت مـع آخـرين ممـن لم يمنحـوا تأشيرات الدخول إلى مصر أصلا.

قيـل لـي إن الـضابط المخـتص في المطـار تـصرف بـصورة روتينيـة حـين احتجـز الدبلوماسـي الإيرانـي لنحـو ٧٥ دقيقـة. لكـنني شممـت في ذلـك الموقـف رائحـة أخـرى، تتمثـل في أن بعـض الجهـات الأمنيـة لا تـزال علـى موقفهـا الـذي التزمـت بـه طيلـة سـنوات النظام القديم.

أيـد هـذا الظـن عنـدي أن ذلـك لا يـزال موقـف إعـلام نظـام مبـارك المستمر إلى الآن، إلى جانـب أنـه نفـس الموقـف الـسلبي الـذي تتبنـاه بعـض الجهـات النافذة في الأجهزة المصرية المعنية.

مـا أثـار دهـشتي أنـني حـين نقلـت ذلـك الانطبـاع إلى بعـض مـن أعـرف مـن أهـل القـرار فـإنهم أيـدوني فيـه بطريقـة غـير مباشـرة، إلا أن أحـدهم قـال صـراحة إن بـصمات نظـام مبـارك والعناصـر الـتي تربـت علـى قيمـه وثقافتـه لا تـزال لهـا تأثيرهـا، وأنـه مـن الـصعب للغايـة إزالـة آثـار مرحلـة اسـتمرت ثلاثـين أو أربعـين سـنة خلال سنتين.

هـذه الخلفيـة تـستدعى سـؤالا كـبيرا هـو: إلى أي مـدى يختلـف ذلـك الموقـف الـسلبي في منطلقاتـه عـن الـسياسة الخارجيـة المـصرية إزاء إيـران بعـد الثـورة؟ لـست صـاحب الـسؤال، لكـن سمعتـه مـن دبلوماسـي إيراني مخضرم بعدما روى لي قصتين.

الأولى اسـتعاد فيهـا مـشهد زيـارة وفـد أمـني دبلوماسـي زار طهـران في عهـد الـرئيس الـسابق لبحـث القـضايا العالقـة بـين البلـدين، وكـان البنـد الأهـم في جـدول الأعمـال هـو تـسليم المـصريين المعـتقلين في إيـران، الـذين انتمـوا إلى تنظـيم القاعـدة وهربـوا مـن أفغانـستان بعـد سـقوط نظـام طالبـان، وتـضمنت القائمـة المـصرية أسمـاء ٣٠ شخـصا رفـض الإيرانيـون تـسليمهم لـسببين، الأول أنهـم قـالوا صـراحة إن مـن شـأن تـسليمهم أن تـدخل إيـران في معركـة مـع القاعـدة تفـتح البـاب لـصراع سـنِّي شـيعي ليـسوا مـستعدين للـدخول فيـه، الـسبب الثـاني أنهـم يـشكون في أن مـصر سـتقوم بإعـدامهم، وهـم لا يريـدون أن يكونوا السبب في ذلك.

لم يتوصـل الطرفـان إلى نتيجـة في هـذه النقطـة. وانتهـى الأمـر بـأن طلـب الوفـد الأمـني المـصري تـسليم أربعـة أشـخاص فقـط، قـالوا إنهـم ضـالعون في محاولـة اغتيـال الـرئيس الـسابق أثنـاء ذهابـه لحـضور مـؤتمر القمـة الأفريقـي في أديـس أبابـا، إلا أن الطـرف الإيرانـي — ممـثلا في شـخص محـدثي — راجـع المختـصين في طهـران، فقـالوا لـه إن هـؤلاء الأشـخاص ليـسوا موجـودين في إيـران. فمـا كـان مـن الوفـد المصري إلا أن أنهى مهمته وعاد إلى القاهرة.

القـصة الثانيـة حـدثت بعـد الثـورة، حيـث تلقـت طهـران رسـالة رسميـة مـن مـصر تحـدثت عـن إمكانيـة مناقـشة موضـوع العلاقـات بـين البلـدين بعـد مراجعـة الموقـف الإيرانـي مـن ثلاثـة أمـور: الوضـع القـائم في العـراق، ومـساندة الحكومـة الـسورية، وحـسم مسألة أمن الخليج.

وفي تعليقـه علـى القـصتين قـال محـدثي إن نظـام مبـارك كـان معنيـا بـالملف الأمـني بالدرجـة الأولى، إلا أن الرسـالة الـتي تلقتهـا طهـران بعـد الثـورة دعـت إلى تعريـة الـسياسة الإيرانيـة قبـل الحـديث عـن عـودة العلاقـات، الأمـر الـذي فهـم منـه المـسؤولون في طهـران أن مـصر وضـعت شـروطا تعجيزيـة لا تفـسر إلا بأنهـا بمثابـة إغـلاق لملـف إعـادة العلاقـات الدبلوماسـية بـين البلدين.

(٣) أثنـاء انعقـاد القمـة الإسـلامية حـدث أمـران مهمـان في الـسياق الـذي نتحـدث عنـه، الأول تمثـل في عقـد قمـة ثلاثيـة ضـمت إلى جانـب الـرئيس محمـد مرسـي الرئيـسين التركـي عبـد الله جـول والإيرانـي

أحمدي نجاد، وفي هذا الاجتماع حدثت تفاهمات حول أمور عدة، كان من بينهما مبادرة مصرية دعت إلى اجتماع ثماني لبحث الملف السوري يشترك فيه إلى جانب الدول الثلاث ممثلون عن الحكومة السورية والمعارضة إلى جانب منطقة التعاون الإسلامي والجامعة العربية والمبعوث الدولي الأخضر الإبراهيمي، المبادرة جاءت تعبيرا عن تطوير الموقف المصري يمهد للتعاون المشترك، ولا يثير النقاط الأخرى التي وردت في الرسالة التي سبق إرسالها إلى طهران، كما أنها تعول على الحل السياسي للأزمة السورية بعد إعلان رئيس المجلس الوطني السوري السيد معاذ الخطيب استعداده للحوار مع النظام، تحفظ الرئيس التركي على فكرة الحوار بين المعارضة ونظام دمشق، إلا أن التفاقم المصري الإيراني بدد الانطباعات السلبية السابقة وأحدث ثغرة في أفق العلاقات الذي بدا مسدودا.

الأمر الثاني المهم أن السفيرة الأمريكية في القاهرة السيدة آن باترسون أثناء لقاء رئيس الوزراء الدكتور هشام قنديل، لأول مرة منذ تعيينه في منصب، وحين التقته في مكتبه قالت له إن هناك معلومات تحدثت عن تعاون اقتصادي وشيك بين القاهرة وطهران، يشمل إيداع وديعة بعدة مليارات من الدولارات لحساب مصر في البنك المركزي، كما يشمل إمداد مصر بما يعادل ٥ ملايين طن من النفط شهريا، هذا بالإضافة على معاملات تجارية أخرى.

وقد عقبت على ذلك قائلة إن إيران خاضعة لعقوبات دولية أقرها مجلس الأمن. وهي تريد أن تنبه مصر إلى أنها إذا فتحت باب المعاملات الاقتصادية معها فإن ذلك قد يخضعها بدورها لتلك العقوبات، الأمر الذي من شأنه أن يعرضها إلى مزيد من الأزمات الاقتصادية التي قد تحملها بما لا تطيق.

(٤) رسالة السفيرة الأمريكية فضلا على أهمية مضمونها، فإنها تسلط الضوء على الدور الذي تقوم به الولايات المتحدة في صياغة الموقف المصري إزاء إيران، ذلك أن المتواتر لدى الدوائر وثيقة الصلة بالقرار السياسي. إن الإدارة الأمريكية رهنت موقفها الإيجابي من النظام الجديد في مصر بتوافر ثلاثة شروط، هي: عدم المساس بمعاهدة السلام مع إسرائيل، مقاطعة إيران، إتاحة هامش من الديمقراطية يحسن الصورة ويحفظ استقرار الأوضاع في مصر.

ولا يحتاج المرء لأن يبذل أي جهد لكي يدرك أن النقطتين الأوليين تتفق فيهما المصالح الأمريكية والإسرائيلية، ولكن يلاحظ أن مطلب الاستقرار المنشود يقاس بمقدار تأمينه لتلك المصالح، إذ ليس سرا أن واشنطن يهمها ذلك الاستقرار حتى وإن تم ذلك على حساب موت السياسة، كما يحدث في بعض الأنظمة المحيطة بنا والتي تحظى بالرضا والمباركة الأمريكية.

قبل أكثر من ربع قرن وصف الدكتور جمال حمدان مصر وإيران وتركيا بأنها مثلث القوة في المنطقة، الذي باكتمال أضلاعه تنهض وتستقر وتعاد صياغة موازين القوى في الشرق الأوسط، وذلك هو الرأي الشائع في أوساط الخبراء الاستراتيجيين ودارسي العلوم السياسية، ولكن لأن المثلث له هذه الخصوصية الفريدة فإن الأطراف ذات المصلحة في الهيمنة على المنطقة وتركيعها كانت ومازالت حريصة على ألا يتحقق ذلك التكامل بين الأضلاع الثلاثة.

وبات من المفارقات مثلا أن تغض مصر الطرف عن تناقضاتها مع إسرائيل وتطبع العلاقات معها في حين يحرم عليها أن تمد أي جسور مع إيران، بما في ذلك خط الطيران بين البلدين.

عند أهل النظر فإن إقامة العلاقات بين مصر وإيران تعد ضرورة إستراتيجية، ومصلحة مشتركة

للبلدين وللعالم العربي والأمة الإسلامية. ولا يعني ذلك تجاهل أي خلافات أو أي ملفات عالقة بين البلدين، ولكنه يعني تغليب المصالح العليا وإدارة الخلافات بين الطرفين بما لا يهدر تلك المصالح، وعلاقات إيران وتركيا نموذجية في هذا الصدد.

فالبلدان خاضا حربا شرسة بين الصفويين والعثمانيين، وأحدهما شيعي والآخر سني، وبينهما تناقصات في العراق وسوريا وأحدهما مخاصم لإسرائيل ومعاد للولايات المتحدة والثاني متصالح مع الاثنين، ومع ذلك فالجسور لا تزال ممتدة بين البلدين والتبادل التجاري بينهما يتجاوز عشرة مليارات دولار سنويا، وهما يسعيان جاهدين للتفاهم والتقارب وليس الخصام والتقاطع. حتى منطقة الخليج العربي التي لها أكثر من مشكلة حساسة مع إيران، نجدها تحتفظ بعلاقات دبلوماسية معها، علما بأن حجم التبادل التجاري بينها وبين الإمارات وحدها يقدر بحوالي ١٥ مليار دولار سنويا، ولدى السعودية سفيران إيرانيان وليس سفيرا واحدا، أحدهما في الرياض لدى الدولة والثاني في جدة لدى منظمة التعاون الإسلامي.

هكذا، فإن تطبيع العلاقات مع إيران حلال على الجميع، لكنه محرم على مصر، وذلك التحريم تفرضه الولايات المتحدة وإسرائيل وبعض دول الإقليم في الخارج. وتقف في صفها القوى السلفية وبعض أصحاب المصلحة في الداخل.

خلاصة الكلام أن تطبيع العلاقات المصرية مع إيران ليس محكوما بالرغبة فقط، ولكنه محكوم بالقدرة أيضا، ويبدو أن تلك القدرة لم تتوافر بعد لمصر بعد الثورة، حتى الآن على الأقل، وهو ما يدعوني إلى القول بأن يوم عودة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين سيكون يوم إعلان تحرر القرار السياسي المصري من الضغوط التي تكبله. ويوم وصول خبر الثورة إلى السياسة الخارجية المصرية.

عتاب غاضب

فهمي هويدي – الشروق المصرية ٢٠١٣/٢/١٧

تلقيت عتابا غاضبا من الدكتور حسن الشافعي رد فيه على انتقادي لما اعتبرته محاكمة غير لائقة للرئيس الإيراني أحمدي نجاد بالأزهر في مقالة الثلاثاء الماضي (٢/١٤)، وقد أخذ على الدكتور الشافعي أمرين: لغة النقد وموضوعه.

وقبل أن أعرض لما قاله أذكر بأن صاحب الرسالة عالم كبير من الأساتذة المعدودين المتخصصين في الفلسفة الإسلامية، وإلى جانب كونه رئيسا لمجمع اللغة العربية وعضوا في هيئة كبار العلماء، فهو أيضا كبير مستشاري شيخ الأزهر.

وعلى المستوى الخاص فإنني لا أخفي أن بيننا مودة ممتدة، وقد تعلمت من علمه وخلقه الكثير الذي أعتز به وأحرص عليه. في عتابه قال الدكتور حسن الشافعي ما يلي:

– إنه ما كان لي أن «أستهجن» ما جرى في ذلك اللقاء، الذي طرحت فيه على الرئيس الإيراني قائمة من الأسئلة، منها ما تعلق بالموقف من الصحابة ومن السيدة عائشة، ومنها ما يتعلق بنشر التشيع في مجتمعات أهل السنة، ومنها ما خص أهل السنة في إيران، أو موقف الدولة الإيرانية من عرب منطقة الأهواز، واعتبر أن لفظة الاستهجان التي استخدمتها لم تكن لائقة، وأن مشيخة الأزهر لا ينبغي أن تخاطب بمثل هذا الأسلوب «الجارح والفظ».

– إنه لا ينبغي أن يستكثر على شيخ الأزهر أن يوجه الأسئلة التي وردت في اللقاء على الضيف، بما في ذلك حقوق أهل السنة في إيران الذين استغاثوا

بالأزهر، وإذا كان (السيد) حسن نصر الله يتحدث في الموضوع نفسه وإذا جاز لعلماء طهران أن يتحدثوا في المسألة السورية، فلماذا يكون ذلك الكلام حلال عليهم وحرام علينا ؟

ــ إن الأزهر لا شأن له بالحرام السياسي أو الحلال السياسي، وهو يقف مع ما أحل الله وحرم.. (وقد أعلنا على الأشهاد حبنا لآل البيت، حبا حقيقيا لا مذهبيا، كما أننا رفضنا سياسات عزل إيران وتهديدها، وأيدنا تقارب الدولتين، ولكننا ذكرنا للإعلاميين ما طرحناه في اللقاء، ولم ندّع أنه كان موضع قبول من الوفد الزائر. وهذا حقنا بل واجبنا. ولا يحق لأحد استهجانه أو الاعتراض عليه. وما لم يحترم حملة القلم مؤسسة الأزهر. فقد يأتي حين على مصر تتلفت حولها فلا تجد الملجأ الأمين). تعليقي على رسالة الدكتور حسن الشافعي كالتالي:

ــ إن انتقادي لم يكن لمؤسسة الأزهر ولكنه كان منصبا على واقعة محددة حدثت في رحابه، وذلك لا ينبغي أن يحمل بحسبانه تعبيرا عن عدم احترام الأزهر، وإلا كان الترحيب والإشادة هما الدليل الوحيد على توافر ذلك الاحترام.

ــ إنني لم أعترض على مبدأ توجيه الأسئلة المحرجة إلى الرئيس الإيراني، وقد ذكرت في النص المنشور أن بعضها (ربما كان صحيحا وواجب الطرح)، ولكن اعتراضي انصب على أنها وجهت إلى الرجل غير المناسب ــ فالرئيس الإيراني ليس مرجعا دينيا ــ وبأسلوب غير مناسب وفي المكان غير المناسب. وقلت إنه إذا كان لابد من توجيه الملاحظات أو تسجيل التحفظات فذلك مكانه في اجتماعات الطرفين وليس البث التلفزيوني على الهواء، وزعمت أن استعراض الموقف بهذه الطريقة لم يكن مقصودا به حل أي مشكلة بقدر أنه كان تعبيرا عن موقف سياسي ينطلق من التقاطع وليس التوافق.

ــ إن أستاذنا الشافعي قال إن الكلام في الشأن العام والسياسي منه مباح لحزب الله في لبنان ولعلماء طهران ولكن يراد له أن يحرم على الأزهر فيما كتبت، وفاتته ملاحظة أن حزب الله حزب سياسي وأن علماء طهران يتحدثون باعتبارهم سلطة تحكم وتستمد شرعيتها من فكرة ولاية الفقيه. في حين أن الأزهر مؤسسة دعوية ومنارة معرفية بالدرجة الأولى، وأخشى أن يصرفها انغماسها في الشأن السياسي عن مهمتها الأولى والأهم.

ــ إنني لا أتردد في الاعتذار للدكتور حسن الشافعي لأنه اعتبر استخدامي للفظة «الاستهجان» أمرا غير لائق وتعبيرا عن سوء الأدب ووجده (جارحا وفظا). وقد ذكرني غضبه بواقعة عمرها أكثر من ثلاثين عاما. إذ عنفني الأستاذ أحمد بهاء الدين ذات مرة في أحد الأعمدة التي كانت تنشرها له جريدة (الأهرام)، ولم يشر إلى اسمي لكنه ضاق بنقد كتبته واختلفت معه في قراءته للحالة الإسلامية.

ولأنني كنت أحمل له مشاعر مودة وتقدير كتلك التي أحملها للدكتور الشافعي، فقد أرسلت إليه برقية من الإسكندرية وقتذاك أسترضيه فيها وكانت من ست كلمات هي: من حق المعلم أن يكون مؤدبا. وهي ذات الكلمات التي أختم بها تعليقي على عتاب الدكتور حسن، مهتديا في ذلك بعبارة سمعتها من القاضي والفقيه الراحل المستشار عبدالحليم الجندي رئيس مجلس الدولة الأسبق قال فيها: أخسر قضيتي ولا أخسر صديقي والدكتور الشافعي ليس صديقا فحسب، ولكنه معلم أيضا. لذلك فالحق معه مهما قال.

لغز أبو غيث..
من إيران إلى نيويورك!

عبد الرحمن الراشد – الشرق الأوسط ٢٠١٣/٣/١٠

بين خروجه حرا من إيران ودخوله معتقلا نيويورك زمن قصير، ربما ثلاثة أسابيع فقط، ليكون سليمان أبو غيث الكويتي أسهل فريسة من قيادات «القاعدة» التي قتلت أو ألقي القبض عليها. أبو غيث، صاحب الصوت الهادر وأشرطة الفيديو التخويفية بخطبه المليئة بالوعيد والتهديد، فر مع الفارين بعد هزيمتهم في أفغانستان في عام ٢٠٠١، واستقر في إيران مع عشرات من تنظيم القاعدة، بينهم بعض أبناء وبنات بن لادن، إحداهن زوجته.

لم نسمع صوت أبو غيث منذ ذلك اليوم، مثله مثل بقية الذين استقبلتهم السلطات الإيرانية وحظرت عليهم الظهور في الإعلام. وعندما أعلن الأميركيون أنهم قبضوا عليه في الأردن، وقبلها اعترفت تركيا أنها أطلقت سراحه بعد التحقيق معه، وجدت أن في الرواية ثقوبا كبيرة. كيف خرج من إيران وهو مراقب، وقيل معه زوجته وابناه؟ وكيف دخل تركيا وجوازه الكويتي القديم صار لاغيا؟ وكيف يطلق الأتراك سراح رجل بهذه الخلفية الإجرامية؟ وكيف أقنع شركة الطيران أن يسافر إلى الأردن؟ وبأي جواز؟ إن من يسافر يعرف أن كل هذه شبه مستحيلة.

الرواية الأقرب للحقيقة تبدو أبسط من كل ذلك؛ كل الدول المعنية كانت على تواصل بشأن أبو غيث، وهي إيران وتركيا والولايات المتحدة والأردن والكويت. الإيرانيون قرروا التخلص منه، منحوه وأولاده جوازات سفر إيرانية أصلية بأسمائهم الحقيقية، وأخلوا سبيله، في الوقت الذي أبلغوا فيه الأتراك بمقدم الضيف الخطر. الأتراك قبضوا عليه، لكن عند الأتراك حساسية عالية حيال صورتهم في المنطقة، لذا يبدو أنهم قرروا تسليمه للأميركيين على أرض أخرى هي الأردن، مع أن أبو غيث دخل بلادهم بطريقة مشروعة يحمل جوازا إيرانيا أصليا، ويفترض أن يتم ترحيله لإيران وليس للأردن. ويبدو أن الأتراك سعوا قبل ذلك مع الكويتيين لاستقباله، إلا أنهم تبرأوا من أبو غيث، موضحين أنهم أسقطوا الجنسية عنه قبل عشر سنوات، للتخلص من مواطنهم السابق. الكويتيون اقترحوا على الأتراك إرساله للسعودية. وأتصور أن السعوديين أيضا رفضوا تسلم أبو غيث من الأتراك؛ لأنه ليس سعوديا ولم يرتكب جريمة على أراضيهم، إنما من المحتمل أنهم وافقوا على استقبال زوجة أبو غيث، وهي ابنة بن لادن وأولادها، كما فعلت من قبل مع بقية أبناء بن لادن الآخرين.

أخيرا، اتفق الأتراك مع الأميركيين على تسليمه لهم في الأردن الذي اشترط ترحيله فورا للولايات المتحدة. لكن كيف يمكن إرسال أبو غيث للأردن؟ تفتق ذهن الأتراك عن حيلة جيدة.. أركبوه طائرة إلى الكويت تتوقف «ترانزيت» في العاصمة الأردنية عمان، وهناك يفترض تسليم البضاعة. وفعلا، على أرض المطار تسلمه الأردنيون وسلموه للأميركيين، وكل ما قيل من بطولات ليس صحيحا. فلا الأميركيون اعتقلوه في عملية كبيرة، بل تسلموه مكبلا، ولا الأتراك فعلا أطلقوا سراحه، بل سلموه، ولا الكويتيون كانوا مغيبين، بل جزء من العملية، وفوق هذا كله إيران باعته لكن لا ندري بأي ثمن، أكيد القيمة أكبر من مكافأة الأميركيين الخمسة ملايين دولار الموعودة لمن يأتي برأسه حيا أو ميتا.

السر العميق، هو علاقة إيران بـ«القاعدة»، فهي رغم أن أدبياتها تمثل أقصى التطرف السني،

لكنها لم تهاجم أبدا أي هدف إيراني في نحو عشرين عاما من نشاطاتها المروعة. إسرائيل هاجمتها «القاعدة» مرة واحدة في أفريقيا. أما معظم عملياتها فقد ظلت موجهة دائما ضد أعداء إيران، وبشكل مركز استهدفت السعوديين والغربيين، والأردنيين، والمصريين وغيرهم. كما أن معظم قادة «القاعدة العراقية»، تنظيم بلاد الرافدين، استمروا يعيشون في ظل وحماية نظام بشار الأسد لنحو عشر سنوات وحتى قيام الثورة!

أبو غيث فر إلى إيران من أفغانستان، لينضم إلى بقية أفراد «القاعدة» الآخرين الذين يعملون على الأراضي الإيرانية. ولا تزال بعض الرؤوس الكبيرة تعيش هناك، أبرزها سيف العدل، الذي خطط لعمليتي تفجير سفارتي الولايات المتحدة لدى كينيا وتنزانيا، والذي قص شريط العمليات الإرهابية في السعودية في مايو (أيار) عام ٢٠٠٣. إيران تعترف بوجوده، وبقية فريق «القاعدة»، لكن ظلت تزعم أنها لا تسمح لهم بممارسة نشاطاتهم الإرهابية!

"حزب الله" يوسّع منطقة نفوذه واحتلال قرى معارضة للنظام

فادية شامية – جريدة المستقبل اللبنانية ٢٠١٣/٣/٩

وفق المؤشرات الميدانية (تدشيم، تسليح، تدريب...) فإن «حزب الله» يستعد لشن حملة عسكرية كبيرة يسيطر من خلالها على عدد من القرى المعارضة للنظام، انطلاقاً من تحصيناته في المناطق التي يحتلها؛ لا سيما زيتا (٣٠٠٠ نسمة) وحاويك (٢٠٠٠ نسمة).

ووفق الخريطة أدناه فإن الحزب يسيطر على البلدات الآتية: أكوم (سكانها سوريون سنة)- السماقيات (سوريون سنة)- حاويك (مختلطة)- بلوزة (مختلطة)- وادي حنا (لبنانيون شيعة)- الفاضلية (شيعة وعلويون)- الجنطلية (شيعة سوريون ولبنانيون)- السوادية (سوريون سنَّة)- زيتا (أكبر القرى الشيعية) البجاجية (سوريون سنَّة)- مطربا (لبنانيون شيعة)- المصرية (سنَّة)- السمكانية (سنَّة)- الصفصافة (مختلطة)- الحمام (لبنانيون شيعة)- الديابية (سوريون شيعة)- كوكران (لبنانيون شيعة).

وهو بحكم تمدده أكثر من ١٥ كيلومترا داخل الأراضي السورية جنوب مدينة القصير (كوكران والديابية)، وبعد احتلاله منذ أيام بلدة ربلة المسيحية، والقريبة من الحدود اللبنانية، فقد أصبح يطوّق بفكي كماشة بلدات: أبو حوري- الخالدية- الأذنية- النهرية (قرى سورية سكانها من السنَّة)، إضافة إلى تمتعه بوضع جيد لضرب القرى السورية الثلاث الكبرى في مواجهته: البرهانية- سقرجة- العقربية (قرى سورية سكانها من السنَّة) أي تلك القرى التي حاول احتلالها الشهر الماضي.

ولهذه الغاية يزيد الحزب من نقاط الاستحكام، ومرابض المدفعية، لا سيما في زيتا وحوش السيد علي (المنطقة التي أعلن «الجيش الحر» أنه استهدفها بقذيفة في ٢٢ شباط الماضي)، وفيما تستعد غير كتيبة للدفاع عن القرى التي يريد الحزب احتلالها؛ يبدو أن القتال في ريف القصير يتسم بالعشوائية من قبل الأهالي بالقدر نفسه الذي تظهر فيه شجاعة عالية من طرفهم تجاه مقاتلي الحزب (معظمهم فلاحون من المنطقة). علماً أنه سقط للحزب قتلى في معاركه الأخيرة في ريف القصير شيّعهم بعيداً عن الإعلام- ؛ بعضهم في لبنان والبعض الآخر في سوريا.

يذكر أن القيادة المشتركة لـ«الجيش السوري الحر» أعلنت أول من أمس أن الحزب «يستعد لإرسال عدد يتراوح ما بين ٤ إلى ٥ آلاف مقاتل نحو الأراضي السورية من جهة حمص»، وأنه يُجري تدريبات، وقام «خلال الأشهر الثلاثة الماضية بعمليات تهجير وتطهير مذهبي للعديد من القرى الحدودية» وأن «القضية أصبحت مع لبنان الدولة، وليس مع حزب الله فقط».